ينابيع الأفراح
في سورة الانشراح

إعداد

أحمد عبد السلام — محمد عوض صالح

محمد خيري محمد — عبد الله عبد الرحمن

إشراف

محمد حسني سلامة — صالح محفوظ حسون

مراجعة وتقديم

فضيلة الشيخ الدكتور
صبري عبد المجيد

فضيلة الشيخ
أحمد سليمان أيوب

ينابيع الأفراح
في سورة الانشراح

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وبعد،

فإن الغارة على رمضان لن تنتهي إلى يوم القيامة؛ نعم إنها غارة على العبادة في هذا الشهر بكل أنواع أسلحة الفتن والضلالات.

ولما علم أهل الضلال مكانة رمضان في الدين، سلطوا سهامهم على شهر رمضان، وأعدوا العدة للانقضاض على روح العبادة في هذا الشهر بأنواع المعاصي، أصبح الآن قدوم رمضان مجالاً ومناسبة وفرصة للمعاصي بأنواعها؛ بمناسبة شهر رمضان سيلٌ لا ينتهي من البرامج التافهة والمسلسلات والأفلام والألعاب، وكل ما يصرف الناس عن المساجد والقرآن؛ فتحوَّل شهر رمضان إلى شهر غناءٍ وطرب، وأمسيات رمضانية في المعصية، والأغاني !!

إنه مخطط منظم لتفريغ رمضان من محتوياته، ما دام شهر توبة وعبادة لابد من الإغارة عليه، ولابد من تفريغه من محتوياته، ولابد من منع تأثيره على الناس، ولابد من عزل هذه الروح العظيمة في هذا الشهر عن الناس، لئلا يتنسموها، وإن خرجوا من كل ذلك أتتهم برامج الطبخ وإعداد الموائد .

إن المؤمنين يترقبون هذا الشهر الفضيل بفارغ الصبر والجد، وكلما اشتاق العبد لرمضان كلما دل على زيادة إيمانه، ففي رمضان تجتمع كثير من صنوف العبادة.

ولابد للدعاة والوعاظ أن يترقبوا هذا الشهر الفضيل ببرامج ومواعظ ورسائل لشحذ الهمم، والتذكير بالنعم، وصرف النفس عن الشواغل وما يثبط الهمم، إلى العمل والوصول إلى القمم .

وبين يديك رسالة تدور حول سورة جامعة «سورة الشرح» نتعلم منها سعة الصدر، والسعي في التخلص من الذنب، والحرص على حُسن الذكر، وأنه العسر مهما طال فلن يغلب عسر يسرين، فنسأل الله أن ينفع بها، وأن يرفع بها ذكرنا ويضع بالعمل بها أوزارنا .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه

كتبه

أحمد بن سليمان أيوب

تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، أما بعد :

فإن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المحفوظ في حروفه ومبانيه، وأحكامه ومعانيه، وهو الحافظ لأهله من الزيغ والضلال، فبه ينضبط العمل، ويستقيم السلوك، وتتهذب المشاعر والأخلاق، ويصح المعتقد، وتشفى أمراض القلوب والأجساد.

ولأن حظَّ المؤمن من القرآن ينبغي ألا يقف عند التلاوة والاستماع، بل يتعدى إلى التدبر والاتباع، ولأن الربط بين القرآن والواقع قد يغيب عن بعض المسلمين، فقد أعددنا هذه الرسالة اللطيفة في «سورة الشرح» لتكون خطوة إلى تصحيح العلاقة مع القرآن.

لماذا سورة الشرح ؟

كلما ضاقت الصدور بالهموم، وأصيبت القلوب بجفاف المشاعر، وتسرب إلى النفوس داء الكسل، وظلمة البعد عن الله – نرى في هذه السورة ينابيع الأفراح، وأسباب الانشراح، ولذة القرب، ودفقات الأمل، وبواعث العمل، ونسائم التفاؤل، وحيوية النشاط.

منهج الإعداد

- اعتمدنا على المصادر الأصلية من كتب التفسير والحديث وكتب السلوك والتربية..
- حاولنا تقريب الصياغة وتيسير الأسلوب بما يسوغ طعمه ويسهل هضمه.
- ربطنا بين الآيات القرآنية والمسائل الواقعية، والتطبيقات العملية.
- أجبنا عن بعض التساؤلات التي قد تعِن للقارئ.
- أشرنا إلى أن لكل مسلم حظه من القرآن وإن كان الخطاب موجهًا للنبي ﷺ أحيانًا.

وكانت طريقة الإعداد كالتالي :

تناولنا السورة من خلال خمسة مقاطع: أو خمسة ينابيع، وتحت كل ينبوع:

١ تفسير مبسط.

٢ عرض للأسئلة التدبرية، واللمسات البيانية.

٣ إشارات للمعاني الإيمانية.

٤ بيان للقواعد الحياتية المستنبطة من المقطع.

٥ بيان للمهارات المكتسبة من كل مقطع.

٦ أجبنا عما قد يقع لبعض القراء من إشكالات في التطبيق والعمل من خلال عنصر أسميناه بالحوار المفتوح، وفعلنا ذلك في كل مقطع أو ينبوع.

همسات في أذن القارئ

- ابدأ بقراءة السورة قراءة متأنية واستحضر ألفاظها وسياقها.
- لا تهمل قراءة الأدلة من القرآن والسنة اعتمادًا على شهرتها.
- استرشد بأقوال السلف فهم أقرب إلى فهم القرآن والعمل به.
- اتخذ من محبتك للقرآن دافعًا للحياة بمنهجه وهديه.
- اربط بين كل آية وما فيها من معانٍ ومهارات وقواعد.
- حاول أن تقرأ السورة قراءة عملية لتقيس مدى عملك بالنص القرآني.
- حاول أن تتخذ من هذه الرسالة منهجًا تربويًا: مع أسرتك، مع طلابك، مع أصحابك..

وأسأل الله أن يجعلنا من خدَّام كتابه الكريم، وأن يجعل القرآن حجة لنا لا علينا، وأن يجعل هذا العمل عونًا على دخول الجنان، وطاعة للرحمن، وإرغامًا للشيطان.

رئيس اللجنة العلمية

محمد حسني سلامة

بين يدي السورة

إنها سورة «الانشراح»

تبُثُّ في القلوب الرّاحة والانشراح

تقودُ المسلم إلى الفلاح والنجاح

تُخففُ الآلام .. وتُنْسي الأحزان

تُبشِّرُ المعسرين .. وتُنشِّطُ المتكاسلين.

تَفتحُ لنا طريق النجاة .. وتُشعرنا بأنس المناجاة .. وتُذيقنا لذَّةَ المواساة.

بها يَخرج المؤمنُ مِن ظلمات الأوزار .. لتَغْمرَ قلبَه مشارقُ الأنوار.

نشعرُ فيها بمعنى اسمِ الله «**الوَدُود**» .. ونوقن بأنه «**الرَّبُّ المعبود**».

بها نُسارع إلى الطاعات .. ونُبادر إلى الخيرات .. لنُرضي ربَّ الأرض والسماوات.

سورةٌ تهوِّنُ علينا مشقةَ البلاء .. ونعيش بها حياةَ السعداء.

حسْبُك مِن هَدْيِها أن :

ينشرحَ صدرُك..

ويرتفع ذكرُك..

ويعلو شأنُك..

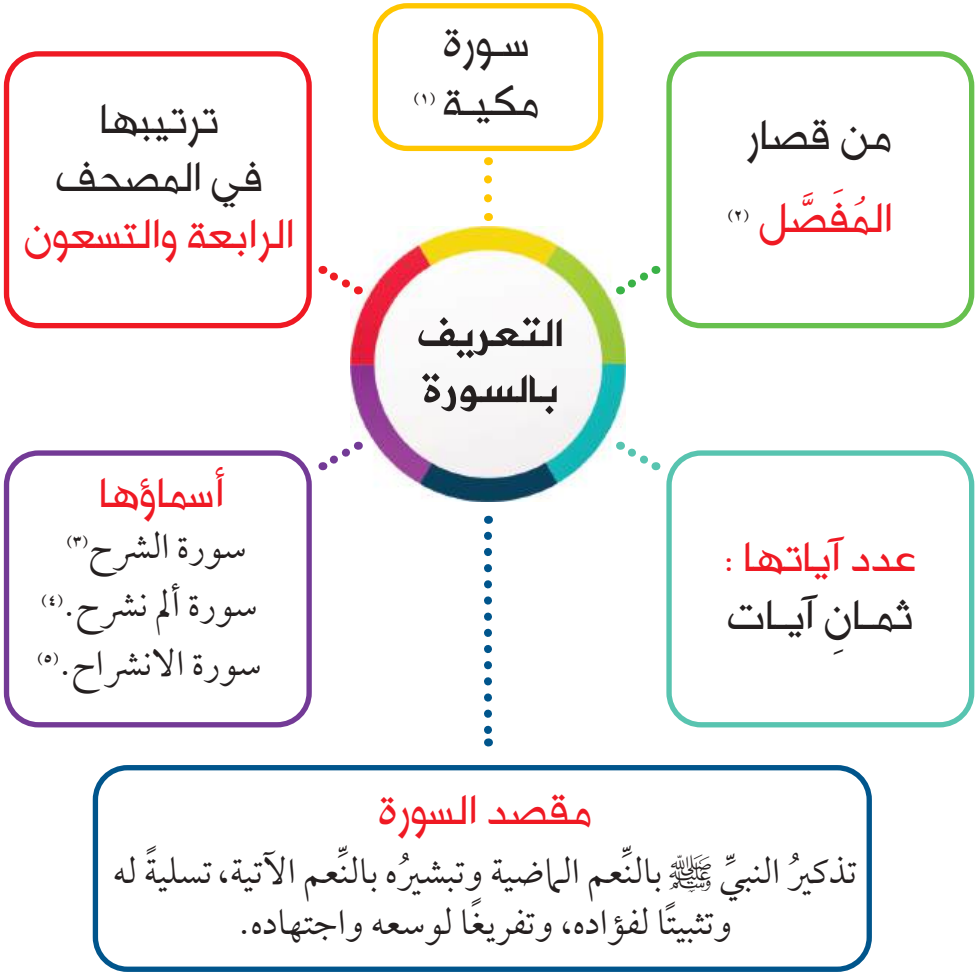

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٢) وتفسير الماوردي (٦/ ٢٩٦) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٩) وغيرهم
المكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة. وهذا الذي عليه الأكثر وهو المشهور . فضائل القرآن لابن كثير (ص: ٣٧)، البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٨٧)، العجاب في بيان الأسباب لابن حجر (١/ ٢٤٣)
(٢) والمفصَّل يبدأ من سورة (ق) إلى آخر القرآن على الصحيح؛ وسُمي مفصَّلاً لكثرة الفَصْل بين سُوَرِهِ بالبسملة. فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٥٩)
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٢) وتفسير البغوي (٨/ ٤٦٣) وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٩) وغيرهم
(٤) صحيح البخاري معلقًا (٦/ ١٧٢) وسنن الترمذي (٥/ ٤٤٢) وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٤) وغيرهم
(٥) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٥٣٢) وغيره

روابط بين الضحى والشرح

◆ مجيء سورة الشرح بعد سورة الضحى يخبرنا أنَّ مَن آوى اليتيم وأحسن إلى السائل والمسكين، فليبشر بانشراح الصدر، وتيسير العسر؛ والجزاء من جنس العمل.

◆ ختام سورة الضحى ناسب الافتتاح في سورة الشرح
فالتحدث بنعمة الله وشكره عليها يقابله انشراحٌ في الصدر واطمئنان في النفس.

◆ سورة الضحى تذكر أمثلةً واقعية لليُسر بعد الشِّدَّة.
وسورة الشرح بعدها تقريرٌ لهذه القاعدة ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥، ٦]

الفروق بين السورتين

سورة الضحى	سورة الشرح
تذكير بالنعم الحسية: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٦ - ٨]	تذكير بالنعم المعنوية: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ١- ٤]
تذكير بالنعم الماضية (اليتم - والضلال - الفقر) نِعَمٌ قبل الرسالة.	تذكير بالنعم الحالية والآتية (شرح الصدر - مغفرة الذنب - رفع الذكر)

علاقة أول السورة بآخرها

لمّا بدأت السورة بذكر النعم (شرح الصدر- مغفرة الذنب - رفع الذكر)
ناسب أن تأتي نهايتها بذكر أسباب هذه النعم (النَّصَب في الطاعة - الرغبة إلى الله).

اشتملت السورة على

١ أعظم النعم :

☑ شرح الصدر. ☑ مغفرة الذنب. ☑ رفع الذكر.

قال تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ١- ٤]

٢ أعظم البشريات :

الأولى كلُّ وَعْدٍ للنبي ﷺ في سورة الشرح فلكَ منه نصيبٌ على قدْرِ اتباعك له

◆ كلُّ ما أكرمَ اللهُ به نبيَّه ﷺ مِن سعادةِ الدنيا والآخرة، فللمؤمنين المتابعين نصيبٌ بقدر إيمانهم؛ إلا ما كان من خصائص النبوة والرسالة فلا يشاركه فيه أحد من أمته، أما ما كان من ثواب الإيمان والأعمال الصالحة فلكلِّ مؤمن نصيبٌ بقدْر ذلك.(١)

◆ أكملُ الخلْقِ متابعةً للنبي ﷺ أكملُهم انشراحًا ولذَّةً وقرةَ عيْن، وعلى حسب متابعته ينالُ العبدُ من انشراح صدره وقرة عينه ولذة روحه ما ينال، فهو ﷺ في ذِروةِ الكمال مِن شرح الصدر ورفع الذكر ووضع الوزر، ولأَتْباعِه مِن ذلك بحَسَب نصيبِهم مِن اتِّباعِه.(٢)

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٣٨)
(٢) زاد المعاد لابن القيم (٢/ ٢٦)

الثانية أن الله تكفَّل لكلّ مَن يحمل رسالته بـ

- ☑ شرح صدره.
- ☑ تخفيف عبء الدعوة عليه.
- ☑ حُسْنِ ذكره وسيرته في الناس.

الثالثة أن كلَّ عسر ستقابله يحيط به يسران

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥، ٦]

٣ أعظم أسباب جلب النعم

- ◆ بذل الجهد في الطاعات.
- ◆ الإقبال على الله والرغبة فيما عنده.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]

٤ تلخيص لمسيرة الدعوة

- ◆ **فبدايتها** ⟵ تهيئة للنبي ﷺ لحمل أعباء الدعوة.
- ◆ **وأوسطها** ⟵ تنبيهٌ على العقبات التي ستعترضه في طريق الدعوة.
- ◆ **وختامها** ⟵ توجيهٌ لشكر النعم من خلال بذل الجهد والإقبال على الرَّب.

ينابيع السورة
شرح الصدر
وضع الوزر
رفع الذكر
يُسر غالب للعُسر
بذل المجهود والإقبال على الرب المعبود

سُورَةُ الشَّرۡحِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾

وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾

وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾

إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾

الينبوع الأول
شرح الصدر

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

[الشرح: ١]

ليست النعمة أن ينقادَ لكَ العالَم
ولكن النعمة أن يتسعَ صدْرُكَ ليستَوعِبَ العالَم

الينبوع الأول

شـرح الصـدر

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

[الشرح: ١]

أولاً : التفسير

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

يقـول تعالـى ممتنًا على رسوله ﷺ : قد شرحنا لك صدرك، أي : نوَّرناه وجعلناه فسيحًا رحيبًا سمحًا سهلاً متسعًا لشرائع الدين، والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، فلم يكن ضيقًا حرجًا لا يكاد ينقاد للحق ولا يدعو إلى الخير.(١)

ثانيًا : الأسئلة التدبرية واللمسات البيانية

لماذا بدأت السورة بالاستفهام ؟

لمَّا أمرَ اللهُ نبيَّه ﷺ في آخر سورة الضحى بالتحديث بنعمه التي أنعمها عليه : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] فجاء تفصيل هذه النعم في أول سورة الشرح.(٢)

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ما نوع الاستفهام في هذه الآية، وما المقصود به ؟

الاستفهام هنا :

- استفهام تقريريّ، ومعناه : قد شرحنا لك صدركَ.(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٩) وتفسير السعدي (ص: ٩٢٩)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ١١٥) لبرهان الدين البقاعي (توفي ٨٨٥ هـ)

(٣) ومثلُه قولُ جَرير يَمدحُ عبدَ الملك بنَ مروان : أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايَا ... وأَنْدَى العالَمِيَن بُطونَ رَاحِ

معناه: أنتم خيرُ مَن ركِبَ المطايا. تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٥)

◆ والغرض منه : التذكير بهذه المنَّة عندما يخالجه ضيقُ صدْرٍ مما يلقاه مِن أذى قومه، ليدوم على دعوته العظيمة نشيطًا غير ذي أسفٍ ولا كَمِد.(١)

ما معنى الشرح وما حقيقته ؟

الشرح في اللغة له معان :

١ **التوسعة**، ومعناه : الإراحة من الهموم والغموم.

٢ **والأصل في الشرح :** فصْلُ أجزاء اللحم بعضِها عن بعض، ومنه: الشريحة من اللحم، ثم شاع استعماله في الكشف والبسط، وإيضاح الغامض والخافي من المعاني.

٣ وكذلك شاع استعماله في رضَى النفس وسرورها بعد ضيق ألمَّ بها.(٢)

لماذا قال ﴿نَشۡرَحۡ﴾ بالمضارع، ولم يقل (شرحنا) بالماضي ؟

ليكتسب الشرح معنى المُضيّ مِن جهة، ويكتسب التّجدّد مِن جهةٍ ثانية..

بعكس النّعمتين التّاليتين (وضع الوزر - ورفع الذكر) فإنهما قد مضتا..

○ أما الشّرح وإن كان قد مضى إلا أنّه أمرٌ يحتاجه في المستقبل لذلك ناسب أن يتجدّد.

لماذا بدأ بشرح الصدر عند ذكر النعم؟

لأن أي إنسان يتصدّى لمهمّة يجب أن يكون صدره منشرحًا لهذه المهمّة، وأعظم المهمّات وأشقُّها هي مهمة الرّسالة، لذلك كان شرح الصدر أولّ طلب طلبَه موسى عندما أمره اللهُ أن يذهب لدعوة فرعون: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦﴾ [طه: ٢٥، ٢٦] .(٣)

ما هو سبب ضيق صدره ﷺ ؟

سببُ ضيق صدره ﷺ هو رغبته في إسلام النّاس وإرادته ظهور هذا الدّين، حتى إن الله تعالى عاتبه في ذلك فقال ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الشعراء: ٣] أي قاتلٌ نفسَك.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٤٠٨)

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٨) بتصرف وبعض الزيادة.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٢٩٠) لمحمد صدِّيق خان (ت ١٣٠٧ هـ)،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٥٧٤)

مع شدّة ما يلقاه من الناس من تعنّت وكفر وسفهٍ واستهزاء ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الحجر : ٩٧]

لذلك احتاج لشرح الصّدر، ولولا أنّ الله شرح صدره لما استطاع أن يكمل المهمّة.

ما وجه الإتيان بحرف اللام مرتبطا بالكاف في قوله (لَكَ) ؟

① حرف اللام يفيد عدة أمور :

- التعليل، أي كلّ ذلك لأجلك، والقائل هو الله وهذا غاية التّكريم للنبي ﷺ.(١)
- الاختصاص؛ أي لو لم تكن أنتَ يا محمد لمَا كان هذا، وهذا غاية الإكرام والاهتمام.
- المقابلة، وكأن المعنى : فأنت إنما تفعل جميع الطاعات لأجلي، فأنا أيضًا جميع ما أفعله لأجلك.
- التنبيه على أن منافع الرسالة عائدة إليه ﷺ، كأنه تعالى قال : إنما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلي.

② وأمّا الكاف، فقد جاء الكلام في صورة الخطاب لا في صورة الغَيبة، فلم يقل : (ألم نشرح له صدره أو لمحمد أو لرسولنا) وفي مقامات العطاء والإكرام يحسُن الخطاب، وأمّا في مقامات الذّمّ والعتاب يحسن الانتقال إلى الغَيبة أو التّعميم.

لماذا قال ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ولم يقل (ألم نشرح لك قلبك) ؟

لأن الصدر محل الوسوسة وليس القلب، فيأتي الشيطان ليقذف في الصدر ما يكون سببًا لتضايقه وتحريجه، كما قال تعالى : ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥]

ولأن الصدر هو حصن القلب وبيته، فإذا انشرح الصدر كان القلب – من باب أولى – أكثر انشراحًا واطمئنانًا.

(١) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٤٠٩)

ما المقصود بشرح صدره ﷺ ؟

الشرح نوعان :

☑ شرح حسي. ☑ شرح معنوي.

وقد جمع اللهُ لنبيه ﷺ بين شرح الصدر الحسي والمعنوي فكان بذلك أكمل الخلق ﷺ.

① أما الشرح الحسي : فهو شقّ صدره وإخراج حظّ الشيطان من قلبه وملئه حكمة وعلمًا.

ووقع ذلك للنبي ﷺ مرتان، قال الحافظ ابن حجر :

◆ أما الشق الأول لصدره ﷺ كان في زمن طفولته، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: «هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ»، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ.(١)

◆ أما الشق الثاني لصدره ﷺ فقد وقع عند إرادة العروج به إلى السماء ليتأهب لمناجاة ربه.(٢)

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ : كَانَ أَبُو ذَرٍّ، يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ....»(٣)

---

(١) مسلم (١٦٢)
(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٠٥) بتصرف
(٣) البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٣)

② أما الشرح المعنوي : فقد ذكر العلماء فيه معانٍ كثيرة كلها صحيحة وموافقة للحال التي كان عليها ﷺ وملخصها :

- **شرح صدره** ﷺ للإسلام والهُدَى ومعرفة الحق.
- **اتساع صدره وانفتاحه** للقيام بحقوق الرسالة وتحمل أعبائها.
- **سماحته ورحابته** ولِينُ قلبه وسهولته وصبره واحتماله.
- **تنوير صدره** وطهارتُه.
- **بشارتُه** بإعلاء دينه وإعلامه برضى الله عنه.(١)

ثالثًا : المعاني الإيمانية

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] : ربُّكَ يدبرُ لكَ في الخفاء فاجتهد له في العلانية.

شرْحُ الصَّدْرِ طلَبَه الكليمُ موسى : ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]

وأنعم اللهُ به على النبي ﷺ دون سؤال؛ ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ﴾ [الأحقاف: ١٩]

وأنت

- استحضر ما خصَّك به ربُّك ينشرحُ صدرك ويزولُ همّكَ.
- إذا أردتَ أن تشعر بقدْرِ نعمة (شرح الصدر للإسلام)، فاعلم أن حولك أكثر من «سبعة مليار» إنسان في العالَم ضاقت صدُروهم ولم تنشرح للإسلام !
- أحيانًا يكون عندك كلّ أسباب السعادة ولا تشعر إلا بالاختناق ! سكينة القلب أعظم النعم.
- إلى كل مهموم، أصلح ما بينك وبين الله تعالى، وقُمْ بشرعه كما أراد، وستغمرك لحظات الانشراح عما قريب.

(١) راجع تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٢) والماوردي (٦/ ٢٩٦) والقرطبي (٢٠/ ١٠٤) وابن كثير(٨/ ٤٢٩) وغيرها.

- بقدْرِ صِلَتِكَ بالله تعالى، والقيام بأمره تنال من مدارج هذا الانشراح.
- انشراحُ صدرك أبهجُ لَكَ من كل معاني الفرح التي تراها بعينك.
- كل هدف تطمحُ إليه، وكل نجاح تسعى لتحقيقه، ما هو إلا فرعٌ عن انشراح صدرك.
- شرحُ الصدر نعمة لا يهبها لك أحدٌ غير الله، فاطلبها منه، وَاسْعَ في تحقيقها.
- ليس بإمكانك أن تُزيل كلَّ الصعاب، ولكن بإمكانك أن توسِّع صدرَكَ لتواجِه الصعاب.
- ليست النعمة أن ينقادَ لكَ العالَم، ولكن النعمة أن يتسعَ صدْرُكَ ليستَوعِبَ العالَم.
- صيغة المضارع ﴿نَشْرَحْ﴾ تدلُّ على أننا نحتاج إلى شرح الصدر في كل أوقاتنا وأمورنا.
- هنيئًا لك أيها المؤمن فالذي أعطى نبيك هذه النعمة هو ذاته الذي سيمنحك ويمن عليك بهذا المعنى في حياتكَ.
- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ كم أسدى ﴿لَكَ﴾ من النعم؛ فبماذا قابلتَ نعمه ؟
- ﴿لَكَ﴾ كما خصَّكَ بالنعم، فأفردْه بالعبادة وحده.
- الصدر مستودع العلم والحكمة فمَن أراد الله به خيرًا وسَّع صدْرَه لاستقبال الخير وأخلاه من وساوس الشرّ.
- ما بين ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ وبين ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ كما بين السماء والأرض.
- أعظم ما يشرح الصدر (نور الوحي) ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].
- شرح الصدر مبدأ كل نعمة، وأعظم النعم شرح الصدر للإسلام : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]
- الجنة العاجلة، التي تورثك الجنة الآجلة : أن تعمل لله وأنتَ منشرح الصدر.
- إنَّ (صُدورَ المؤمنين) تَغْلِي بأعمالِ البِرِّ، وإنَّ (صدورَ الفُجّار) تَغلِي بالفُجور، واللهُ يَرَى هُمومَكُم، فانظُرُوا ما هُمُومُكم رَحِمَكُم الله.(١)

(١) حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا في الهم(١١٢)، وابن حبان في روضة العقلاء ص٢٧، وأبو نعيم في الحلية(٦/٢٨٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق(٥٦/٤٠٢) من طرق عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قوله...

صدور منشرحة	صدور ضيقة
﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]	﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]
﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]	﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]
﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]	﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم: ٥٩]
﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢]	﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]

- لا يستويان : مَن ﴿شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزمر: ٢٢] مع ﴿مَن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦]
- هوِّن عليك : فالذي ابتدأك بنعمته في الماضي ما كان ليقطع عنك فضله في المستقبل.
- شعار المؤمن : أنا جَنَّتِي وبُستاني في (صدْرِي) أينما رُحْتُ فهي معي لا تُفارقني.(١)
- صدر المؤمن منشرح دائمًا في السراء والضراء، لأنه لا يخرج عن أحد أمرين؛ إما الشكر وإما الصبر: « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ».(٢)
- من أعظم أسباب نجاح الداعية : انشراح صدره وطمأنينته ورضاه.
- أقصر طرق الجنة سلامة الصدر.(٣)
- أفضل الأعمال : سلامة الصدور، وسخاوة النفوس.(٤)

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم (ص: ٤٨)
(٢) رواه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.
(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٣٨٩)
(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣٩)

- إذا سَلِم القلبُ وصدَق اللسان، ترجم اللسانُ الصادقُ عن القلب السليم بأنواع السلامة.[١]
- صدور العصاة : إنَّ ذُلَّ المعصيةِ لا يُفارقُ قلوبَهم، أبَى الله إلا أنْ يُذلَّ مَن عصاه.[٢]
- السجن الحقيقي سجن القلب : المحبوسُ مَن حُبِسَ قلبُه عن ربِّه ومولاه، والمأسورُ مَن أسَرَه هَواه.[٣]
- العاصي ينالُه مِنَ الذِّلةِ والكَبْتِ بِحَسَبِ معصيَتِه[٤]، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة : ٥]

رابعًا : القواعد المستنبطة

الأولى من أهم المهمات : زَفُّ البشريات في أوقات الأزمات

جَوّ السورة يُوحي بما كان يعانيه ﷺ من ضيق الصدر ومعاناة الفقر والعُسر والتضييق عليه، إلا أن السورة أتت تَزفُّ البشريات للنبي ﷺ ولأتْباعه أن أمركم في ارتفاع ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشرح: ٤]

فهذا هو المنهج القرآني الذي يدفع اليأس عن أتباعه ويملأ قلوبَهم بالأمل، وهكذا كان منهج النبي ﷺ مع أصحابه، فقد كانوا يشْكُون من شدة العذاب والتنكيل في أول الإسلام، فيخفف عنهم بقوله لهم ﷺ: « وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ ».[٥]

وكان من منهجه ﷺ أنه يحِبُّ الْفَأْلَ الصَّالِحَ.[٦]

وقد أوصى أصحابه وجميع أُمَّتِه قائلاً: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ».[٧]

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٣٥٩)
(٢) الداء والدواء لابن القيم (ص: ٥٩)
(٣) الوابل الصيب لابن القيم (ص: ٤٨)
(٤) الصارم المسلول لابن تيمية (ص: ٣٠)
(٥) رواه البخاري (٣٦١٢) من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.
(٦) رواه مسلم (٢٢٢٣) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
(٧) رواه البخاري (٦٩) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، ومسلم (١٧٣٢) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

الثانية لا يستغني أحدُ عن توفيق الله ورعايته

حتى النبي ﷺ يحتاج إلى شرح صدره .. يحتاج إلى إزالة همِّه .. يحتاج إلى التخفيف عنه ومواساته حال عسره .. فمَن دُونَهُ أشدُّ حاجة واضطرارًا إلى هذه الأمور، فالكل محتاجٌ إلى الله.

◆ أجمع العارفون على أن التوفيق أن لا يَكِلَكَ الله تعالى إلى نفسك، والخذلان أن يكلك الله تعالى إلى نفسك.(١)

الثالثة مَن بذل الثمن حصل على النعم، والنعيم لا يدرك بالنعيم

◆ **النعم** : • شرح الصدر. • مغفرة الذنب. • رفع الذكر. تيسير الأمر.

◆ **الثمن** : • النصب والتعب في الطاعة. • الإقبال على الله والرغبة فيما عنده.

◆ أجمعَ عقلاءُ كلِّ أُمةٍ على أنَّ النَّعيمَ لا يُدْرَكُ بالنَّعيم، وأنَّ مَن آثرَ الرَّاحةَ فاتَتْهُ الرَّاحة.(٢)

الرابعة التغيير الحقيقي يبدأ من الداخل سواء من جانب الفرد أو الأمة

بدأ الله السورة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] وقد شُقَّ صدرُه ﷺ وهو ما يزال غلامًا مسترضعًا، ليتهيأ لتغيير قومه والعالَم كلِّه بعد ذلك، فالتغيير الحقيقي للفرد بدايته من الداخل، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وكذلك بداية التغيير الحقيقي للأمة يبدأ من الداخل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]

الخامسة إصلاح الباطن أصل إصلاح الظاهر

البداية بشرح الصدر فيه لفتةٌ لنا أن نعتني بشأن صدورنا وأن نبحث عن أسباب شرحها، وعلى قدْر ما يبذل العبد من جهد في إصلاح باطنه، على قدْر ما يُعان على إصلاح ظاهره، قال تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ [الأنفال: ٧٠]

(١) الوابل الصيب لابن القيم (ص: ٧)
(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ١٥)

◆ اعلم أنَّ العبدَ إنما يَقطعُ منازلَ السَّير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه.[1]

قال بكر بن عبد الله المزني[2] : لم يَفْضُلْ أبو بكر رضي الله عنه الناسَ بكثرةِ صومٍ ولا صلاة، وإنما فضلهم بشيء كان في قلبه.[3]

السادسة بداية الهداية بالتهيئة ثم التخلية ثم التحلية

السابعة للسائر نظران : نظر إلى إحسان الرب ونظر إلى عيوب النفس والعمل

وجمع هذين المعنيين حديثُ سيد الاستغفار في قوله ﷺ « أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ».[4]

قال ابن القيم[5] : للسالك نظران:

- نظرٌ إلى نفسِه وعيوبِها وآفاتِ عمله، وهذا يفتح على العبد بابَ الذلّ والافتقار.
- ونظرٌ إلى إحسان ربه، وهذا يَفتحُ عليه بابَ المحبة والرجاء.[6]

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٤١)
(٢) بكر بن عبد الله المزني، أبو عبد الله البصرى من الطبقة الثالثة من الوسطى من التابعين: ثقة ثبت جليل توفي ١٠٦هـ.
(٣) حسن: أخرجه أحمد في فضائل الصحابة(١١٨)، وابن بطة في الإبانة(٢٤٥) من طريق إسماعيل بن علية عن غالب القطان عن بكر المزني به.
(٤) رواه البخاري (٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.
(٥) محمد بن أبي بكر بن أيوب، توفي سنة (٧٥١ هـ)
(٦) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣٧)

الثامنة السعادة بيد الله تعالى وحده

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] فشرْحُ الصدر أصل السعادة، ولا يملك هذه النعمة إلا الله تعالى، فهو سبحانه الذي يقذف السعادة في صدر من يشاء بفضله، وينزعها من صدر من يشاء بعدله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣]

خامسًا: المهارات المكتسبة

الأولى المحافظة على سلامة الصدر للمسلمين

من أعظم المهارات التي نكتسبها من سورة الشرح أن نحافظ على سلامة صدورنا مِن أن تحمل لمسلمٍ غِلاً أو حقدًا أو حسدًا أو عداوة، ونردّد دائمًا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

فلا يصلح لسكنى الجنة من تلوث قلبُه بالأدران، بل من صَفَتْ صدورهم وطهرت نفوسهم، لذا قال تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]

و عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ». قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ». (١).

وقال الفضيل بن عياض(٢): لم يُدْرِكْ عندنا مَنْ أدْرَكَ بكثرةِ صيامٍ ولا صلاةٍ، وإنَّما أدْرَكَ بسخاءِ الأنْفُس، وسلامةِ الصَّدْر، والنصح للأمة.(٣)

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه(٤٢١٦)، والخرائطي في مكارم الأخلاق(٤٥) من طرق عن يحيى بن حمزة، حدثنا زيد بن واقد، حدثنا مغيث بن سُمَي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما به.

(٢) الفضيل بن عياض التميمي، توفي ١٨٧ هـ

(٣) حسن: أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في الصوفية(ص٢٤) وعنه البيهقي في الشعب(١٠٣٩٢) قال سمعت محمدًا بن نصر بن منصور الصائغ قال سمعت مردويه الصائغ قال سمعت الفضيل بن عياض فذكره.

الثانية تحصين الصدر من وساوس الشيطان

لأن الصدر هو معترك الشيطان ومحل الوسوسة، قال تعالى واصفًا حال الشيطان : ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس : ٤، ٥].

لذلك ينبغي للعبد أن يكون يقظًا وأن لا يُسْلِم صدرَه للشيطان ليُلقي فيه الوساوس فيفسد عليه دينه ودنياه، قال تعالى : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت : ٣٦].

الثالثة تلقي أحكام اللَّه الشرعية والقدرية بصدر منشرح وتسليم تام

فأعظم ما ينبغي أن ينشرح له الصدر هي أحكام الله، سواء الشرعية منها، كما في قوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

وكذلك أحكامه القدرية، كما في حديث صُهَيْبٍ رضي الله عنه أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». (١)

سادسًا : حوار مفتوح

١ أعاني من ضيق الصدر وسرعة الغضب ولا أستطيع أن أتعامل مع الناس ؟

- تذكّر وصية النبي ﷺ « لَا تَغْضَبْ ». (٢) واجتنب كل الأسباب التي تؤدي بك إلى الغضب.
- تعلَّم الأمور التي تخلّصك من الغضب مثل :
  - تغيير المكان.
  - تغيير الهيئة بالجلوس مثلاً إذا كُنتَ قائمًا.
  - الوضوء.
  - التزام الصمت.
  - الاستعاذة بالله من الشيطان.
  - كثرة ذكر الله والاستغفار.
- الجأ إلى الله بالدعاء : ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝٢٦﴾ [طه: ٢٥، ٢٦]

(١) رواه مسلم(٢٩٩٩)

(٢) رواه البخاري (٦١١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ لا أشعر بلذة الطاعة ولا بطعم العبادات كما كان الحال في أول الالتزام ؟

◆ أحسن الظن بربك : فالذي شرح صدرك للتوبة وأنتَ تبارزه بالمعصية سيشرح صدرك لتذوق حلاوة طاعته ولذة مناجاته وأنتَ مُقبلٌ عليه.

◆ حاول أن تُجدِّد كل المعاني الإيمانية التي كانت في أول التزامك مثل :

- حرارة الندم على ما سلف من الذنوب.
- الشوق المتوقد للطاعة.
- الحزم والجدية مع النفس
- الحرص الشديد على الأوقات.
- البيئة الإيمانية التي تربيت فيها.

◆ لا تستعجل وانتظر الفتح في كل لحظة.

٣ أعاني من الوسواس والأفكار السيئة

◆ اعلم أنّ عقلك كالرَّحى لابد أن يطحن شيئًا فاجعل فيه خيرًا لتنتفع به.

◆ راقب ربَّك في سرِّك، واعلم أنه مطلع عليك سبحانه، وتذكر قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩]

◆ راقب نفسك في الخلوات، فمعظم الأفكار الخبيثة والخواطر السيئة لا تأتي إلا في خلوة الإنسان وفراغه.

◆ لا تسترسل مع الخواطر السيئة والأفكار الخبيثة وعليك بهذه الوصية النبوية الغالية، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ ».[١]

قال ابن القيم : دَافع الخطرة فَإِن لم تفعل صَارَت فكرة فدافع الفكرة فإن لم تفعل صَارَت شَهْوَة فحاربها فإن لم تفعل صارَت عزِيمة وهمَّة فإن لم تدافعها صارت فِعْلاً فإن لم تتداركه بضدّه صار عادة فيَصعُب عليك الانْتقال عنْها.[٢]

◆ استعن على طرد الشيطان وما يجلبه عليك من أفكار وخواطر سيئة – بعد الله – بقراءة القرآن والأذكار والأدعية.

---

(١) البخاري(٦٧٢٣)، مسلم(٤٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٣١)

الينبوع الثاني

وضع الوزر

﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣﴾

[الشرح: ٢- ٣]

على قدْرِ ما تتخفف مِنْ وِزْرِك

يسلمْ لك ظهرك، وتسرع السير إلى ربك

الينبوع الثاني

وضع الوزر

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾

[الشرح: ٢- ٣]

أولًا: التفسير

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾: وحططنا عنك وزرك، فغفرنا لكَ ما تقدم من ذنبك وما تأخر.(١)

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾: الذي أثقلَ ظهرَكَ فأوْهَنَه حتى سُمِعَ له نقيضٌ (أي: صوت) من شدةِ ثقلِهِ.(٢)

ثانيًا: الوقفات التدبرية واللمسات البيانية

ما وجه ذكر النقيض بعد الوزر؟

النّقيض صوت صرير الرَّحل وصوت عظام المفاصل، وفرقعة الأصابع، وهو كناية عن شدّة الحِمْل وثِقَله؛ وذِكْرُه بعد الوزر مشعرٌ بأن للذنب ثِقَلاً على المؤمن ينوء به ولا يخففه إلا التوبة.(٣)

ما معنى الوزر الذي وضعه اللَّه تعالى عن النبي ﷺ؟

ذكر العلماء للوزر عدة معانٍ منها:

١ مغفرة ذنبه ما تقدم منه (في الجاهلية) وما تأخر بعد البعثة، ومنه قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]

(١) تفسير البغوي (٨/ ٤٦٣) وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٠) وتفسير السعدي (ص: ٩٢٩)
(٢) تفسير البغوي (٨/ ٤٦٣) وفتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٦٣)
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٤١٠) وأضواء البيان (٨/ ٥٧٨)

٢ تخفيف ثقل الوحي عليه وأعباء الرسالة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]

٣ إزالة الصعاب وتخفيف الشدائد التي يواجهها في الدعوة.

٤ التخفيف عن أمته ووضع الإصْرَ والأغلال عنها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف : ١٥٧].(١)

ثالثًا: المعاني الإيمانية

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢]

- غفرنا لكَ ما تقدَّم من ذنبكِ وما تأخر؛ وهذه ليست لأحد إلا له ﷺ.
- الأنبياء بشرٌ من الخلق، وتقع منهم صغائر الذنوب، وإن كانوا في الأصل معصومين من الكبائر، وسفاسف الأخلاق، والذنوب التي تقع منهم هي من قبيل ترك الأولى، أو فعل الشيء باجتهاد، فينزل الوحي بتسديدهم
- المؤمن يري تقصيره في شكر نعم الله ذنوبًا تثقل الكاهل، والغافل اللاهي يجترح الكبائر ولا تهتز له شَعْرَه!
- من جليل المنن وضع هذه الأثقال علي العبد ليستريح من أعبائها.
- كلما تخفَّف القلبُ من الأوزار، كلما أسرع لفعل الخيرات.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٣]

ما الذي أثقل ظهر النبي ﷺ ؟

- الذنوب حتى غفرها.
- الرسالة حتى بلّغها.
- النِّعم حتى شكرها.(٢)

- أُثقل ظهرُه ﷺ ليس لعظم الذنب ولكن لكماله الإنساني والإيماني.
- ليس الخوفُ بكثرة الذُّنوب، بل بصفاءِ القلوب، وكمالِ معرفةِ علاَّم الغيوب.(٣)

(١) تفسير الماوردي (٦/ ٢٩٧) وتفسير البغوي (٨/ ٤٦٣) وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٦) وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٠)
(٢) تفسير الماوردي (٦/ ٢٩٧)
(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٨) بتصرف

◆ كلما زادت خشيتُك استشعرتَ ثِقل وزْرِك، ولا يشعر بثقل الذنب إلا من في قلبه إحساس!

◆ المعاصي أثقال علي الصدر لا تطاق، وقد فاز من خفَّ وزره. فلا تكن ممن يظل يحمل (وِزْرَه) إلى أن يأتي به يوم القيامة ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١]

◆ خاب وخَسِر مَن يحمل أثقال غيره مع أثقاله، ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]

◆ إذا نظرتَ لذنبكِ نظرةَ استصغار، فراجع تعظيمَكَ لربك.

قال بلال بن سعد[١]: لاَ تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الخَطِيئَةِ، وَلَكِنِ انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ.[٢]

◆ ثقل الظهر يمنع من قطع مسافة السفر، والأوزار تمنع القلب من السير إلى الله، وتثقل الجوارح من النهوض للطاعة.

رابعًا: القواعد المستنبطة

الأولى: الذنوب تضيق الصدور وتوهن الظهور

لما ذكر الله تعالى مغفرة الذنب بعد شرح الصدر علمنا أن للذنوب أكبر الأثر في ضيق الصدر وهي كذلك، كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤].

◆ وأيُّ عذابٍ وجحيمٍ أمرُّ وأعظم مِن ضيق الصدر ؟.[٣]

الثانية: السعادة وشرح الصدر في التخلص من الأوزار

وهذه القاعدة مأخوذة من قول الله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح ٣]

فكلما كان الإنسان متخففًا من الذنوب كان أقرب إلى السعادة، وقد شبّه القرآن الأوزار بالثقل الذي يكاد يقصم الظهر: ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٣] فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا وفّقه لتوبة تُزيل همَّه وينشرح بها صدره، وتلك هي السعادة الحقيقية.

ولستُ أرَى السعادةَ جَمْعَ مالٍ ... ولكنَّ التَّقيَّ هو السَّعيدُ

◆ فعنوان سعادة العبد: إذا أُنْعِمَ عليه شكر، وإذا ابْتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر.[٤]

(١) بلال بن سعد بن تميم الأشعري، من التابعين: ثقة عابد فاضل توفي سنة نَيِّفٍ وعشرة ومائة.
(٢) صحيح: أخرجه ابن المبارك في الزهد(٧١) ومن طريقه النسائي في الكبرى(١١٨٥٤) عن الأوزاعي قال سمعت بلال بن سعد. فذكره.
(٣) الداء والدواء لابن القيم (ص: ١٩٧) بتصرف
(٤) الوابل الصيب لابن القيم (ص: ٥)

الثالثة الذنوب سبب للتثاقل عن الطاعات

قال تعالى يصف أثر الذنب والوزر على الظهر : ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ [الشرح: ٣]

أي : أثقله وأوهنه، وبالتالي يضعف سير العبد إلى الله والدار الآخرة، أو يقف وينقطع عن السير، فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، ويُنكِّس الطالب.(١)

الرابعة الأنبياء معصومون

◆ الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر وهو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، وهو قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول.(٢)

◆ والأنبياء معصومون من الإقرار على الذنوب، بل إن الله يستدركهم بالتوبة.(٣)

◆ ولا يقع من الأنبياء ما يُخِلُّ بعدالتهم ولا مروءتهم أو ما يتعلق بجانب صدقهم في تبليغ الرسالة.

خامسًا : المهارات المكتسبة

الأولى تغيير النظر للذنوب وعدم استصغارها

فقد أخبر الله أن الذنب أثقل ظهر النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾

فما ظنك بظهورنا؟!

لذلك فالمؤمن يرى ذنبه – مهما صَغُر – كبيراً، لأنه لا ينظر إلى صِغَرِ المعصية بل ينظر إلى عِظَمِ مَن عُصِيَ وهو الله تعالى، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ.(٤)

---

(١) الداء والدواء لابن القيم (ص: ٧٣)
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣١٩)
(٣) مختصر الفتاوى المصرية للبعلي(ص: ٢٤٨)
(٤) البخاري (٦٣٠٨)

والسبب في ذلك أنَّ قلبَ المؤمنِ مُنوَّرٌ، فإذا رأى مِن نفسِه ما يُخالف ما يُنوِّر به قلبَه عَظُمَ الأمرُ عليه.

وهذا شأنُ المسلمِ أنه دائمُ الخوف والمراقبة، يَستصغِرُ عملَه الصالحَ ويَخشى مِن صغيرِ عملِه السَّيِّء.(١)

وتأمل قولَ أَنَس بن مالك رضي الله عنه للتابعين: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ!.(٢)

قال ابن بطال(٣): كان الصحابة يَعُدُّون الصغائر من الموبقات لشدَّةِ خشيَتِهم لله، وإن لم تكن لهم كبائر.(٤)

وقال المناوي(٥): لما كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتمّ، فكأن الصغائر عندهم بالإضافة إليه كبائر.(٦)

الثانية المسارعة إلى التخلص من الذنوب

التخلص من الذنوب نعمة عظيمة امتنّ الله بها على نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ [الشرح: ٢ - ٣] لذلك المؤمن يسارع إلى التوبة النصوح وإلى عمل الصالحات ليتخلص من أحمال الذنوب التي أتعبت ظهره وضاقَ بها صدرُه.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]

أي: إذا صدر منهم أعمال سيئة كبيرة، أو ما دون ذلك، بادروا إلى التوبة والاستغفار، وذكروا ربهم، وما توعد به العاصين ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها.(٧)

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٠٥)
(٢) رواه البخاري (٦٤٩٢)
(٣) أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك توفي سنة ٤٤٩هـ.
(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٢٠٢)
(٥) زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري توفي سنة ١٠٣١هـ.
(٦) فيض القدير للمناوي (٤/ ٧٠)
(٧) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٣)، تفسير السعدي (ص: ١٤٩)

الثالثة الشعور بالسعادة عند التخلص من الذنب والعودة إلى اللَّه

فأسعد أوقات العبد المؤمن يوم يوفقه الله تعالى لتوبة نصوح، ليضع عنه وزره، فحينها يستشعر معنى قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح ٢ - ٣]

◆ هذا كليم الله موسى عليه السلام، يُعبر عن فرحته بتوبة الله عليه، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]

فسمّى مغفرة الذنب نعمة، وأيّ نعمة أعظم من أن يتجاوز الربّ عن عبده.

◆ ولما نزل الوحي بتوبة كعب بن مالك رضي الله عنه دعاه النبي ﷺ وبشَّره فقال: « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ».(١)

وكأن التائب وُلِدَ من جديدٍ حين يتخلص من أثقال الذنوب.

الرابعة مهارة التماس الأعذار

الخطأ وصف ملازم للإنسان، لا ينفك عنه، وصدق القائل :

مَن الذي ما سَاءَ قَطْ؟ ... ومَن له الحُسنَى فَقَطْ ؟

ولذلك كان أصل محاسن الأخلاق، التماس العذر والتجاوز عن الزّلّات، والله عز وجل يعاملُ العبدَ في ذنوبه بمثل ما يعامل به العبدُ الناس في ذنوبهم

فمن عفا عفى الله عنه، ومن سامح أخاه في إساءته إليه سامحه الله في سيئاته، ومن تجاوز تجاوز الله عنه، فإنَّ الجزاء من جنس العمل.(٢)

قال أبو قلابة (٣) : إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهُه فالْتَمِس له العذرَ جهدك، فإن لم تجد له عذرًا فقل في نفسك: لعلَّ لأخي عذرًا لا أعلمه.(٤)

---

(١) رواه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) من حديث عبد الله بن كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ٢٩١)

(٣) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي، أبو قلابة البصرى، من الوسطى من التابعين: ثقة فاضل، توفي سنة ١٠٤ هـ وقيل بعدها .

(٤) حسن: أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٨٥) قال حدثنا أبو بكر بن مالك(أحمد بن جعفر القطيعي)، قال: حدثني حميد الطويل، عن أبي قلابة فذكره.

الخامسة مهارة حمل همِّ الدين

قال تعالى مخاطبًا نبيّه ﷺ: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح٢ - ٣]

وكم تحمَّل رسول الله ﷺ من هموم أمته حتى أثقل هذا الهم ظهره، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ.(١)

قال النووي(٢) : يقال حَطَمَ فلانًا أهلُه، إذا كَبَرِ فيهم، كأنَّه لمَّا حَمَلَ مِن أُمورِهم وأثقالهم والاعتناءِ بمصالِحِهم صيَّرُوه شيخًا مَحْطُومًا.(٣)

◆ واعلم أن العبد إذا أصبحَ وأمسى، وليس همهُ إلا الله وحده، تَحَمَّلَ الله سبحانهُ حوائجهُ كلها، وحمَلَ عنه كلَّ ما أهمَّهُ.(٤)

فعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا نِيَّتَهُ (هَمَّهُ) فَرَّقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ(هَمَّهُ) جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ أَمْرَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ.(٥)

---

(١) رواه مسلم (٧٣٢)
(٢) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي توفي سنة ٦٧٦هـ.
(٣) شرح النووي على مسلم (٦/ ١٣)
(٤) الفوائد لابن القيم (ص: ٨٤)
(٥) صحيح : أخرجه الطيالسي(٦١٧) والدارمي (٢٣٥، وأحمد(٢١٥٩٠)، وابن ماجه(٤١٠٥) عن عمر بن سليمان، عن عبد الرحمن بن أبان، عن أبيه، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه به.

سادسًا : حوار مفتوح

١ أتوب ثم أعود إلى الذنب .. !

- اعلم أن كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ : «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ». (١)

قال النووي : «اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» معناه ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك. (٢)

- ابتعد عن المكان الذي يذكرك بالذنب.
- ابتعد عن الصحبة التي تُعينُك على الذنب.
- كن حازمًا مع نفسك على عدم العودة إلى الذنب.
- ابحث عن البيئة الإيمانية التي تحتمي بها من شياطين الجن والإنس.
- سلْ ربك أن يعينك على عدم الرجوع إلى الذنب.

٢ أُعاني من (ذنوب الخلوات)

- اعلم أن الله معك ومطَّلع عليك : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]
- عظِّم ربَّك أن يراك على معصية : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]
- لا تجعل الله أهون الناظرين إليك ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٨]

(١) البخاري (٧٥٠٧)، مسلم (٢٧٥٨)
(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٧٥)

- قلل من أوقات الخلوة قدر استطاعتك.
- اشغل خلوتك بما ينفع (مذاكرة دروس – صلاة – قراءة قرآن – ذكر واستغفار – رياضة نافعة)

③ أشكو من كثرة الذنوب (ذنوبي كثيرة)

- أحسن الظن بربك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]

قال النووي : لو تكرَّر الذنبُ من العبد مائةَ مرة أو ألفَ مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه.(١)

- لا تيأس من رحمة الله ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ [يوسف: ٨٧]
- غلِّب جانب الرجاء في سعة رحمة الله ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٥٦]
  - لما حضرت الإمامَ أحمدَ الوفاةُ قال لولده عبد الله : اذكر لي أحاديث الرجاء.(٢)
- املأ أوقاتك بالطاعات وبعمل الصالحات.
- تخلَّص من كلِّ الوسائل التي تعينك على المعصية.
- أكثر مِن دعاء سيد الاستغفار، فهو حَرِيٌّ بمحو الذنوب الكبار.
- الزم الصحبة الصالحة التي تُعينُك على عمل الصالحات، وترك المنكرات ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٧٥)
(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٤٦٦) لمحمد بن أحمد السفاريني (توفي ١١٨٨ هـ)

الينبوع الثالث

رَفــع الـذِّكْــر

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

[الشرح: ٤]

أرفع الناس قدْرًا، وأبقاهم ذِكْرًا، أكثرهم للخلق نفعًا

الينبوع الثالث
رَفــع الـذِّكْــر

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾
[الشرح: ٤]

أولًا: التفسير

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: أعْلَيْنا قدْرَك، وجعلنا لك الثناءَ الحسنَ العالي، الذي لم يصل إليه أحدٌ من الخلق، فلا يُذكر الله إلا ذكر معه رسوله ﷺ.(١)

ثانيًا: الأسئلة التدبرية واللمسات البيانية

ما وجه عطف النّعم بالواو ﴿وَوَضَعْنَا﴾ ﴿وَرَفَعْنَا﴾ ؟

١ عطف هذه النّعم بالواو يدلّ على أنّ كلّ نعمة منها هي نعمة قائمة بذاتها تستحقّ أن تذكر وحدها.

٢ مع أنّها نِعَمٌ متفرقة في دلالاتها إلا أنّها تشترك في كونها لموصوف واحد وهو النّبيّ ﷺ.

ما سرّ قوله ﴿وَرَفَعْنَا﴾ دون (ونشرنا) ؟

فعل رفعنا يفيد أنه ﷺ أرفعُ الخلْقِ ذكرًا، ويكفي أن الله تعالى قرن اسمه ﷺ باسمه تعالى.

ما وجه إعادة اللام في (لَكَ) مع رفع الذكر؟

إعادة اللاّم مع رفع الذّكر لأنّه صفة محمودة، والصّفة المحمودة تناسب حرف الاختصاص أو الملك أو العطاء وهو اللام.

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٢٩)

ما وجه تخصيص الرّفع بالذّكر ؟

لأنَّ أيّ شيء غير الذِّكر مهما ارتفع لن يؤدّي نفس نتيجة رَفْعِ الذكر، فإنّ الذكر إذا ارتفع ذاع الصيت وانتشر وارتفع، فيَكْثُر مَن يدعو له ومَن يُثني عليه، لذلك كان من دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]

ما المقصود برفع ذكره ﷺ ؟

ذكر العلماء لرفع ذكره ﷺ عدة معانٍ منها:

- اختياره للنبوة.
- رفع ذكره في الآخرة كما رُفع في الدنيا.
- أن يُذكر ﷺ مع الله كلما ذُكِر.
- رفع ذكره عند الملائكة في السماء.
- أخذ الميثاق على الأنبياء، وإلزامهم الإيمان به، والإقرار بفضله.(١)

ما هي صور رفع الله لذكر نبيِّه ﷺ ؟

- الشهادتان.
- الأذان.
- الإقامة.
- التشهد.
- الخطبة على المنابر.
- أخذ الميثاق على النبيين.
- ذكره في الكتب المتقدمة.
- انتشار ذكره في الآفاق.
- ختمت به النبوة.
- المقام المحمود والشفاعة العظمى.
- مكانته في قلوب أتباعه.(٢)

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ ويُشْهَدُ

وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلى اسمِهِ ... إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤذِّنُ أشْهَدُ

وشقّ لهُ من اسمِهِ ليُجِلَّهُ ... فذو العرشِ محمودٌ، وهذا محمدُ(٣)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٥) وتفسير الماوردي (٦/ ٢٩٧) وتفسير البغوي (٨/ ٤٦٤) وزاد المسير (٤/ ٤٦١)

(٢) تفسير البغوي(٨/ ٤٦٤)، زاد المسير(٤/ ٤٦١) ابن كثير(٨/ ٤٣٠)، محاسن التأويل(٩/ ٤٩٦)

(٣) ديوان حسان بن ثابت (ص: ٤٢)

ما وجه ذكر الأفعال بضمير الجمع (نَشْرَحْ - وَوَضَعْنَا - وَرَفَعْنَا) ؟

جاءت أفعال الامتنان بضمير الجمع وكلُّها تعني التعظيم للمُنْعِم وللنِّعمة وللمُنْعَمِ عليه.

فكل ما يكون من : العظيم. ← فهو عظيم. ← لعظيم.

ثالثًا : المعاني الإيمانية

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]

- تأمل الارتباط بين وضع الوزر ورفع الذكر (وَوَضَعْنَا - وَرَفَعْنَا) (التخلية قبل التحلية).
- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ :
  - في الدينا والآخرة.
  - في الماضي والمستقبل
  - في القرآن وفي الكتب السابقة.
  - في الأرض وفي السماء.
  - بين البشر وبين الملائكة.
- رفع الله ذِكْره حتى على ألسنة الكفار :
  - عدَّه أحدُهم الأول في عظماء العالم.
  - يعتقد أحدُهم أنه ﷺ الوحيد الذي يستطيع حلّ مشكلات العالم.
- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ هذه بشرى للتمكين لهذا الدين في العالَم أجمع.
- مِن أعظم نعم الله على العبد : أن يرفع له بين العالمين ذكره، ويُعلي قدْرَه.(١)
- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بما يتناسب مع قدْرِك، فالناس مقامات، ومقامك عند ربك رفيع ﷺ.
- لا يُقبل إسلامُ أَحَدٍ دون النطق بالشهادتين، ولا يُرفع أذان إلا بهما؛ فما أعظَمَه مِن رَفْعٍ لذِكْره ﷺ.

(١) الداء والدواء لابن القيم (ص: ٨٠)

◆ بصلاةِ اللهِ وملائكتِه عليه لا ينقطعُ ذكرُه في السماء، وبصلاةِ المؤمنين عليه ورفع الأذان لا ينقطع ذكره في الأرض ﷺ؛ يا له مِن شرف !

◆ أكثر الأسماء على وجه الأرض اسم (محمد ﷺ)، وهذا مِن رفع ذكره.

◆ رَماه أعداؤه كذبًا وبهتانًا ليخْفِضوا ذِكْره، وأبَى اللهُ إلا أنْ يَرفعَ ذِكْرَه ﷺ في عُقْرِ دارِهم.

◆ إذا كانت لحومُ العلماء مسمومة؛ فكيف بلحوم الأنبياء عليهم السلام ؟.

◆ يقول الله تعالى: « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ».(١) فكيف بمَن عادَى الأنبياء؟.(٢)

◆ قُضِيَ الأمر؛ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، فلن تستطيع قوى الأرض بأكملها أن تحطَّ مِن قدْرِك أو تَخدِشَ سُمْعَتَكَ.

◆ ومِنْ رَفْعِ ذِكْره أن يَظلَّ دينُه ظاهرًا مرفوعًا ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣]

◆ ومِنْ رَفْعِ ذِكْرِه أن تظلَّ أُمَّتُه ظاهرة مرتفعة الذِّكْر : « لاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ ».(٣)

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ ».(٤)

◆ لا يوجد إنسان يعملُ للحق بالوسائل المشروعة، إلا ويرْفع الله له ذِكرَه، ويُعلي شأنه.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) الصارم المسلول لابن تيمية (ص: ١٦٥)
(٣) رواه البخاري (٣١١٦) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١٦٩٥٧) والطبراني في الشاميين(٩٥٥)، والطحاوي في مشكل الآثار(٦١٥٥)، والحاكم (٨٣٢٦) من طرق عن صفوان بن عمرو السكسكي ، قال: حدثني سليم بن عامر، عن تميم الداري رضي الله عنه به.

◆ اترك أثرًا صالحًا قبل الرحيل، يُبقي اللهُ لكَ ذكْرًا حسنًا وثناء جميلاً في العالمين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ».(١)

◆ أهل السنة لمَّا أحيوا السُّنةَ كان لهم نصيب من قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾
وأهل البدعة لمَّا أبغضوا السُّنة كان لهم نصيب من قوله : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].(٢)

◆ أهل السنة يموتون ويحيى ذِكرُهم، وأهل البدعة يموتون ويَموت ذكرُهم.(٣)

وأنتَ

إذا أردتَ أن يرفع الله لك ذكرك، فاجتهد في التخلص من وزرك، الذي أثقل ظهرك !

رابعًا: القواعد المستنبطة

الأولى **أرفعُ الناس قدْرًا وأبْقاهم ذِكْرًا أكثَرُهم للخَلْقِ نَفْعًا**

ولهذا خصّ اللهُ تعالى أنبياءه ورسله من رَفْع الذكر ما ليس لغيرهم، كما قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۝٤٥ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۝٤٦﴾ [ص: ٤٥، ٤٦]، أي: خصصناهم بخصيصة، وهو الذكر الجميل الذي يُذكرون به في هذه الدار، وهو لسان الصدق الذي سأله إبراهيمُ الخليل عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]

وقال سبحانه وتعالى عنه وعن بنيه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]

وقال لنبيه ﷺ : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].(٤)

(١) مسلم (١٦٣١)
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٥٢٨)
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٥٢٨)
(٤) الداء والدواء لابن القيم (ص: ٨٠)

الثانية لا خلود لأحدٍ في الدنيا، ولكنّ الذي يَبقَى الذِّكْرُ الحسن

بقاءُ الذّكر الجميل، واستمرارُ الثناء الحسَن، والصيتِ الطيب للعبد بعدَ رحيله عن هذه الدار، نعمةٌ عظيمة يختصّ الله بها من يشاء مِن عباده ممن بذَلوا الخير والبرّ، ونشروا الإحسان، ونفعوا الخلْق، وجمعوا مع التقوى والصلاح، مكارمَ الخصالِ، وجميلَ الخلال

كم ماتَ قومٌ وما ماتَتْ فضائلُهُمْ وعاشَ قومٌ وهم في النَّاسِ أمواتُ

الثالثة أولى الناس برفع الذِّكر من هذه الأمة أتْباعُ النبي ﷺ

فمَنْ أراد رفْعَ الذكر وعلوَ القدْرِ فليتمسك بالأثر، قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]

قال ابن القيم : أتباع الرسول ﷺ لهم نصيبٌ من (رفع الذكر) بحسب طاعتهم ومتابعتهم له.(١)

وعلى قدْر ما يخالف العبدُ السنةَ ويبتعد عنها أو يُبغضها أو يُحاربها أو يُحارب أهلها، على قدْر ما يُخفي الله ذكره ويَحطّ مِن قدْرِه، ولو مَلَك الدنيا بأسرها، قال تعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]

الرابعة الذِّكْرُ الحسن لا يمْلِكُه الناس لذلك لا يُطلب منهم

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فالله تعالى هو الذي يَهب العبدَ الذكر الحسن على حسب منزلته في الإيمان والعمل الصالح، ولا يجوز التَّصَنُّع والتَّلوُّن لأجل نوال منزلة أو ثناء حسن عند الناس، وقد ذمَّ اللهُ ذلك بقوله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨]

يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يُعْطَوا.(٢)

(١) الداء والدواء لابن القيم (ص: ٨٠)
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨١)

وكما قال رسول الله ﷺ: « مَنْ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً [١] ».[٢]

وقال ﷺ: « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ [٣] ».[٤]

الخامسة رفعُ ذِكْرِه باقتفاءِ أثَرِه وإحياءِ سُنَّتِه، لا بتَركِ هدْيِه ومخالفةِ طريقته

مَنَ أراد أن يرفع ذِكْرَ نبيِّه ﷺ فعليه باتباع هديه واقتفاء أثره، أما أن نخالف هديه ونهدم سنته بحجة أننا نحيي ذِكْره، فهذه مناقضة للعقل والشرع، ومثال ذلك:

- مَن يحتفل بيوم مولده ﷺ ويخص هذا اليوم بشعائر خاصة لم يدل عليها دليل.
- مَن يغلو فيه فيطلب منه المدد أو يتوسل بجاهه أو يتمسح بقبره.
- كذلك مَن يزيد في الأذان أو التشهد في الصلاة كلمة (سيدنا).

خامسًا: المهارات المكتسبة

الأولى الحرص على اتباع هدْيِ النبي ﷺ في كل صغيره وكبيرة

مَن يريد أن يعلي الله شأنه ويرفع ذكره في الدنيا والآخرة، فعليه أن يتحرى هدي النبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة في أموره، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]

فعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه: أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الحَجَرِ الأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ.[٥]

---

(١) قال القاضي عياض: هو عام في كل دعوى يتشبع بها المرء بما لم يعط، مِن مال يختال في التجمل به من غيره، أو نسب ينتمي إليه، أو علم يتحلى به وليس هو من حملته، أو دين يظهره وليس هو من أهله. شرح النووي على مسلم (٢/ ١٢٦)

(٢) رواه مسلم (١١٠) من حديث ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه.

(٣) قوله (المتشبع) أي: المتشبه بالشبعان وليس به، واستعير للتحلي بفضيلة لم يرزقها، يتكثر بذلك، ويتزين بالباطل.

وأما قوله: كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ: يعني أن المتحلي بما ليس فيه كمن لبس ثوبي الزور؛ ارتدى بأحدهما، واتزر بالآخر، فالإشارة بالإزار والرداء إلى أنه متصفٌ بالزور من رأسه إلى قدمه. راجع فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣١٨)

(٤) رواه البخاري (٥٢١٩) ومسلم (٢١٢٩) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

(٥) البخاري(١٥٩٧)، مسلم(١٢٧٠)

الثانية بذل الجهد في الدعوة إلى اللَّه

النبي ﷺ كان همّه الأعظم بعد رضا الله هداية الناس لذلك رفع الله ذكره، وأرفع الناس ذكرًا هم الأنبياء، ثم أتْباعُهم الذين حملوا همّ الدعوة وبذلوا فيها الأوقات والأعمار، ومن المتقرر أن الثناء والدعاء يدومُ لمنْ تواصل برُّه وخيره وإحسانه، قال رسول الله ﷺ: « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ».(١)

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ».(٢)

الثالثة الجمع بين التطلع إلى المعالي والاجتهاد في الطاعات

لمّا ذكر اللهُ تعالى رفع الذكر، ذكر بعده السبب الذي يوصل إليه، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧]

لأن الاجتهاد في الطاعة والنَّصَبِ في العبادة سببٌ لمحبة الله للعبد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ».(٣)

وإذا أحبَّ الله العبدَ قذفَ محبتَه في قلوب أوليائه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ».(٤)

فبلوغ المعالي يتطلب هممًا عالية

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ ... وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
(٣) رواه البخاري (٦٥٠٢)
(٤) رواه البخاري (٣٢٠٩) ومسلم (٢٦٣٧)

الرابعة الاقتراب من القرآن والتمسك به

لأن القرآن كما قال الله تعالى عنه : ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١٣، ١٤]

لذلك مَن أراد أن يرفع اللهُ ذكره في العالمين فليقترب من القرآن وليصاحب القرآن، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]

أي: فيه شرفُكم وصِيتُكم وفخركم وارتفاعكم؛ تُذْكَرون به كما تُذْكر عظائم الأمور.(١)

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي: فخرٌ لك ولقومك، ومنقبة جليلة، لا يُقدر قدرها، ولا يعرف وصفها، فَبِهِ تُذْكَرون في العالَم كُلِّه.(٢)

وقال ﷺ: « إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا ».(٣)

الخامسة تبشير المسلمين بالنصر والتمكين ولو كانوا مستضعفين

هذه الآية ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] منهج قرآني لبيان أهمية البشريات في أوقات الاستضعاف، فقد بشَّر الله نبيه ﷺ برفع ذكره والتمكين لدينه في أشد أوقات الضعف.

وعلى المسلم أن يسوق البشريات للمسلمين في أوقات الاستضعاف بقرب النصر والتمكين حتى لا يسيطر عليهم اليأس، فينهزموا نفسيًا قبل أن ينهزموا عسكريًا، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ(٤)، وَالرِّفْعَةِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ ».(٥)

---

(١) تفسير القاسمي (٧/ ١٧٩) وتفسير السعدي (ص: ٥١٩) والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٣)
(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٦٦) وتفسير المنار (١١/ ٧١)
(٣) رواه مسلم (٨١٧) من حديث عامر بن واثلة رضي الله عنه.
(٤) السناء : الارتفاع، ومعناه ارتفاع المنزلة والقدر عند الله تعالى.
(٥) حسن: أخرجه أحمد في الزهد(١٧٧)، والدينوري في المجالسة(٢٢٢١)، وأبو نعيم في الحلية(١/ ٢٥٥) من طرق عن عبد العزيز بن مسلم. وأخرجه أحمد(٢١٢٢٠) من طريق عبد الرزاق، وعبد الله في زوائده على المسند(٢١٢٢١) من طريق معتمر بن سليمان، وفي(٢١٢٢٢) من طريق يحيى بن يمان ، والحاكم(٧٨٦٢) من طريق زيد بن الحباب، جميعًا عن سفيان الثوري عن المغيرة بن مسلم، كلاهما (عبد العزيز بن مسلم، والمغيرة بن مسلم) عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أُبي بن كعب رضي الله عنه به.

سادسًا : حوار مفتوح

١ أترك كثيراً من الطاعات وأبوابَ الخير خوفًا من ثناء الناس ومدحهم

من مداخل الشيطان إذا رآك مجتهدًا في الطاعات أن يشكك في صدق نِيَّتِك ليُغلق عليك أبوابًا عظمية من الخيرات، فاحْذَرْه.

- استمِر في الاجتهاد في فعل الخيرات، مع اجتهادك في تصحيح النيات.

قال الحارث بْن قيس[١] : إذا أتاك الشَّيْطان وأنتَ تُصلي، فقال: إنَّك تُرائِي فزِدْها طُولاً.[٢]

- ثناء الناس ومدحهم لا يعني بطلان عملك أو نقصان أجرك، ما دمْتَ مخلصًا لربك.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ: « تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ ».[٣]

- اجعل بينك وبين الله (خبيئة) من القربات لا يطَّلِعُ عليها أحدٌ من الناس.

٢ هل (الشهرة الزائفة) تساوي (رفع الذكر) ؟

لا يستويان أبدًا

مَن اشتُهر بالتَّدَيُّنِ والصلاحِ	مَع مَن اشتُهر بالفساد والفسق والفجور
مَن اشتهر بالعلم والعمل	مَع مَن اشتهر باللهو واللعب
مَن اشتُهر بمحبة الدين والعمل له	مَع مَن يُبغض الدين ويسعى في هدمه
مَن رفع الله ذكره في الملأ الأعلى وإن لم يعرفه الناس	مَع مَن ليس له ذكرٌ في الملأ الأعلى وإن اشتهر بين الناس

الضابط في ذلك أن : العبرة بمَن رفع الله ذكْرَه وأعلى قدْرَه بالتزام شرعِه والعمل لدينه.

---

(١) الحارث بن قيس الجعفي من كبار التابعين : ثقة تُوُفِّيَ : زَمَنَ مُعَاوِيَةَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبُو مُوسَى الأَشْعرِيُّ ﷺ

(٢) صحيح: أخرجه وكيع في الزهد(٢٥٩) وابن المبارك في الزهد(٣٥) من طريق خيثمة بن عبد الرحمن، وأخرجه مسدد كما في اتحاف المهرة(١٤٣٤) والمطالب العالية(٤٩٥) من طريق منصور بن المعتمر . كلاهما (خيثمة، منصور) عن الحارث بن قيس به.

(٣) رواه مسلم (٢٦٤٢)

٣ أشعر باليأس وفقدان الأمل في عودة العزة والرفعة والتمكين لأمتنا وأرى ذلك مستحيلاً

- اعلم أنه لا مستحيل مع قدرة الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٠]
- اعلم أن اليأس والقنوط من حيل الشيطان للقعود بالمسلم عن العمل للدين
- كن على ثقة أن المستقبل لهذا الدين: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤]
- الخوف على الدين يدفع للعمل والنشاط، وليس لليأس والقنوط.
- النبيُّ ﷺ بشَّرَ: « لاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ».[1] وما عليك إلا أن تكون منهم.
- ابدأ وغيِّر من نفسك لتكون قدوة لغيرك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]
- اقرأ تاريخ الأمة جيدًا، فقد مرَّت بأزمات وفترات عصيبة وتجاوزتْها بكل ثبات وقوة.

(١) رواه البخاري (٣١١٦) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

الينبـــوع الـرابـــع
يُسرٌ غالبٌ للعُسر

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٦﴾

[الشرح: ٥-٦]

بشارة ربانية، وحقيقة قرآنية، وسُنَّةٌ كونية

«اليسر قرين للعسر»

الينبـــوع الـرابـع
يُسرٌ غالبٌ للعسر

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾
[الشرح: ٥، ٦]

أولًا: التفسير

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ : إن مع الضيق سعةً، ومع الشدة رخاءً، ومع الكرب فرجًا، وفي هذا وعدٌ منه سبحانه بأن كلَّ عسر يَتَيَسَّر، وكلَّ شديد يهون، وكل صعب يلين.(١)

﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ : إن مع ذلك العسر المذكور سابقا يسرًا آخر، ولن يغلب عسرٌ يسرين(٢)؛ إذا علمتَ ذلك فلا يَحزنك أذى قومك، ولا يَصدنُّك عن الدعوة إلى الله.

ثانيًا: الأسئلة التدبرية واللمسات البيانية

ما وجه الإتيان بالفاء في قوله ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ ؟

جاءت «الفاء» لتدلَّ على ترتّب هذا الحكم على ما قبله، فكأنّ الله يقول لنبيّه ﷺ : إذا كنّا قد أنعمنا عليك سابقًا بنعمٍ كثيرةٍ؛ فشرحنا لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، ورفعنا لك ذكرك، فكما فعلنا ذلك سابقًا معك فاعلم بأنّ اليسر قرينُ العسر دائمًا، فلا تيأس ولا تجزع مهما أصابك من شدّةٍ وكرْبٍ.

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٦٤)، وتفسير السعدي (ص: ٩٢٩)
(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٦٤)

ما الذي تفيده هذه الأمور : حرف التوكيد (إنَّ)، والجملة الاسمية، والتكرار ؟ في قوله ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥، ٦]

هذه الأمور الثّلاثة (إنّ - الجملة الاسمية - التكرار) هي مؤكّدات لملازمة اليسر للعسر، لكي لا يبقى في النّفس شيءٌ من الشّكّ في هذا الأصل العظيم الذي ينبغي أن يكون راسخًا في نفوس المسلمين.

ما وجه دلالة تعريف العسر وتنكير اليسر في الموضعين ؟

تعريف (العسر) في الآيتين، يدل على أنه عسرٌ واحد، لأن المعرفة إذا تكررت في جملة واحدة في الغالب يكون معناها واحد.

وتنكير (اليسر) يدلّ على تكراره وتفخيمه وتعظيمه لأن مبدأه من الله العظيم.

وكذلك تعريف (العسر) يدل على استغراق جميع أنواع العسر، وأنَّ كلَّ عسر - وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ - فإنه في آخره التيسير ملازم له.(١)

كيف يكون اليسر مع العسر، مع أنهما ضدان لا يجتمعان ؟

- لما كان وقوع اليسر بعد العسر بزمان قليل، كان مقطوعًا به فجُعل كالمُقارِن له.
- وكذلك فيه نوع تخفيفٍ وتبشيرٍ للمُعْسِر حتى لا يغلبه اليأس.
- وأكثر الأشياء التي تثبِّت الإنسان عند الشدائد إيمانه باقتران اليسر بالعسر.

ما الحكمة من الابتلاء بالعسر ما دام معه أو بعده اليسر ؟

مِن كمالِ إحسانِ الرَّبِّ تعالى أنْ يُذيقَ عبدَه مرارةَ الكَسْرِ قبلَ حلاوةَ الجَبْرِ، ويُعرِّفَه قدْرَ نعمَتِه عليه بأنْ يَبتَلِيَه بضدِّها ...

فما كَسرَ عبدَه المؤمنَ إلا ليَجْبُرَه، ولا مَنَعَه إلا ليُعْطِيَه، ولا ابتلاه إلا ليُعافِيَه، ولا نغَّصَ عليه الدنيا إلا ليُرَغِّبَه في الآخرة، ولا ابتلاه بجفاءِ النّاسِ إلا ليَرُدَّه إليه.(٢)

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٢٩)

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (ص: ٣٠٦)

ما هو اليسر الذي يكون مع العسر ؟

(أ) في أوقات العسر يستخرج الله من عباده المؤمنين عبوديات لا تكاد تخرج إلا وقت العسر.

منها : • تعلق القلوب به وحده. • صدق التوبة. • حسن التوجه له.

• الانكسار والافتقار له. • الدعاء والتضرع بين يديه.

(ب) ومن اليسر الذي يكون وقت العسر : • تكفير السيئات • ورفع الدرجات.

(جـ) ومن اليسر الذي يكون وقت العسر :

• تثبيت الصادقين. • تمييز الصف من المنافقين. • تهذيب وتمحيص المؤمنين.

ثالثًا : المعاني الإيمانية

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥، ٦]

◆ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ربُّكَ يقول (مع) وليس (بعد) ليطمئن قلبك.

◆ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أشدُّ أوقات الليل ظلامًا، أقربها لبزوغ نور الفجر، فكم من شدَّةٍ طالتْ بالعبدِ وضاقَ بها صدْرُه، ثم فُتِحَ للعبدِ بسببها من الخير ما لم يخطر له ببال.

◆ فإذا ضاقت عليك السبل وبارت الحيل، وتقطعت الحبال وضاق الحال، فاعلم أن الفرج قريب وأن اليسر حاصل.

◆ ستواجه في طريقك إلى الله عقباتٌ ومِحَنٌ، ولكنْ في طياتها أُعطياتٌ ومِنَحٌ، فالشدّة لا تدوم، والألم لا يبقى.

◆ موعد الفرج ومقياسه ومكانه، يُحدِّدُه مَن اختيارُه لنا خيرٌ مِن اختيارنا لأنفسنا.

◆ لا يَرى اليسرَ الذي يقارِنُ العسرَ إلا أهل اليقين والبصائر، فاللهم اجعلنا منهم.

◆ أيّها المكلوم، انتظر الفرج بإيمان صادق وعمل خالص وحُسْن ظَنٍّ بالله، فحسن الظن بالله عملٌ صالِحٌ يُثابُ عليه العبد.

◆ مهما بلغَتْ ظروف واقعنا، وحال أمتنا، وفجائع زماننا ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

◆ كلما وُلِدَ اليأس في مكان، نبتتْ معه في ذات الوقت بذورُ الفرج والأمل، وتأكَّد أنَّ مع الضيق سعة، ومع الشدة رخاء، ومع الكرب الفرج، لأنّ المؤكِّدَ هو الله.

◆ فلا تُسوِّد صحيفةَ أعمالك بسخطٍ متكرر، أو جَزَعٍ متتالٍ، أو اعتراض لا يُجدي.

◆ في أوقات العسر نحتاج أن نتذكر النعم الماضية، لتكون عونًا على الثبات وعدم اليأس.

◆ على قدر ما عندك من الإيمان والتقوى، على قدر حظكَ من اليسر والفرج ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]

◆ لا تيأس؛ ففي ظلمات ظلم فرعون الحالكة يظهر بصيص النور: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، ففي الوقت الذي بلغ فيه بطشُ فرعون الذروة، كان موسى يتربى في ساحة قصره.

أعظم أوقات السعادة:
- انشراح الصدر بعد ضيقه ← واسألوا العائدين إلى الله.
- اليسر بعد العسر ← واسألوا المكروبين.

رابعًا: القواعد المستنبطة

الأولى **لابد للعبد أن يمرّ في طريقه إلى الله بِمَضائِق على حسب إيمانه**

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥، ٦]

فلا بد من وجود العسر لأن الدنيا دار اختبار وابتلاء، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤]

ولكن إذا نجح العبد واجتاز الاختبار فسرعان ما يأتيه الفرج لينسيه آلام عسره.

الثانية لن يغلب عسرُ يسرين

إذا أيقن العبد بهذه الحقيقة والسُّنة الربانية، فسرعان ما يذهب عنه الهمّ، ويزول عنه الحزن، لأنه يوقن أنّ لكل مشكلة حَلاًّ، ولكلِّ نازِلةٍ فرجًا قريبًا، وما على العبد إلا أن يطرق الباب ويبذل السبب.

قال ابن القيم : لقد جعل اللهُ الشدائدَ والآلام والشرور في هذه الدار بَتْـراءَ لا دوام لها، وجعل الشِّدّة بين فرَجين، فرجٌ قبْلها وفرجٌ بعدها، والعسرُ بين يُسرين، والبلاءُ بين عافيتين، فليس عنده شِدةٌ دائمة، ولا بلاءٌ دائم، ولا كربٌ دائم.(١)

ألا يا أيّها المرءُ الذي ... الهمُّ بِه بَرَّحْ
إذا اشتَدَّ بك العُسْرُ ... فَفَكِّر في (أَلَمْ نَشْرَحْ)
فَعُسْرٌ بَيْنَ يُسْرَيْنِ ... إذا أَبْصَرْتَهُ فَافْرَحْ(٢)

الثالثة بذور اليُسْرِ موجودةٌ في العُسْرِ نفسه

﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وليس (بعد الْعُسْرِ) فمنذ اللحظة الأولى من حصول العسر والمشكلة والهم، يبدأ لطف الله ويسره وتنفيسه، حتى إذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج القريب حاضرًا مكان العسر، لأنَّ الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى أَيِسَ العبدُ مِن كشفه من جهة المخلوق وتعلَّق بالخالق وحده، ومَن انقطع عن التعلُّق بالخلائق وتعلَّق بالخالق، استجاب الله له وكشف عنه بلاءه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠]

الرابعة اليسر والتيسير ورفع الحرج من مقاصد الشرع

اليُسْر والتيسير مقصد من مقاصد الإسلام، وسِمَةٌ من سماته، في الشرائع والأحكام، والمعاملات والبيوع، والدعوة والتعليم؛ والإسلام عمومًا جاء باليسر والتيسير، قال الله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (ص: ٢٦٨)
(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٤/ ٤٦١)

والغرض من التيسير الإعانة على القيام بأمر الله، وتحقيق العبودية التامة له سبحانه، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]

أي: مشقة وعُسْر، بل يسَّره غايةَ التيسير، وسهَّلَه غايةَ السهولة.(١)

والنبي ﷺ سلك منهج التيسير الذي أراده الله عز وجل لهذه الأمة، وقام بتربية أصحابه عليه، فقال ﷺ: « إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا ».(٢)

وكان النبي ﷺ يأمر أصحابَه دائماً بالتيسير، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا ».(٣)

الخامسة رؤية اليسر عند اشتداد العسر مُؤذِنٌ بانشراح الصدر

على قدر ما يوقن العبد بوجود اليسر واللطف وقت الشدة والعسر، على قدر ما ينشرح صدره ويطمئن لحسن اختيار الله له وتهون عليه المصائب وتسهل عليه المصاعب، وحينها يتوقع اللطف والفرج من الله، ويُسلِّم الأمر لربه سبحانه فلا يتسخط ولا يعترض ولا يتذمر بل يشكر ويصبر حتى تلوح له العواقب وتنقشع عنه سحب المصائب.

خامسًا: المهارات المكتسبة

الأولى اليقين والثقة في اللَّه

قال تعالى مؤكِّدًا ومكرِّرًا: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥، ٦]

التوكيد والتكرار يحمل لنا رسالة فحواها: أيقنوا بفرج الله، وكونوا على ثقةٍ بوعده، فإن الذي أنعم عليكم كل هذه النعم المذكورة في أول سورة الشرح، (كريمٌ وقديرٌ)، ولن يتخلى عنكم في المستقبل، بل سيجعل لكم مع كلِّ عسْرٍ يسرًا، ومع كل شدَّةٍ رخاءً، ومع كل كرْبٍ فرجًا، ما دُمْتم واثقين بوعده وموقنين بفرجه.

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٤٧)
(٢) رواه مسلم (١٤٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٣) رواه البخاري (٦٩) مسلم (١٧٣٤)

الثانية الأمل والتفاؤل

تخيل لو أنَّ رجلاً من أغنى أغنياء العالَم وأوفاهم عهدًا، وأوسعهم سلطانًا، قال لك: إذا عَرَضت لك أيُّ ضائقة أو أيُّ مشكلة في حياتك، فأنا متكفلٌ بحلِّها لك ...

فأظن أنك لن تحمل همًّا لمشاكلك ..

فكيف والذي تكفل بحلِّ مشكلاتك وتفريج كرباتك هو مَلِكُ الملوك وأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ .

فكن متفائلاً بوعد ربك، واجعل التفاؤل والثقة في الله زادَكَ في مواجهة ما يقابلك من عوائق ومشكلات، فالأمل قوة دافعة تشرح الصدر وتبعث النشاط في الروح والبدن، واليأس يُولِّد الإحباط فيؤدي إلى الفشل.

الثالثة حسن الظن باللَّه

فالعسر الذي أحاط بك أو الهمّ الذي نزل بك ليس دليلًا على أن الله تخلّى عنك أو أسلمك لعدوك، ولكن الله عليم حكيم يبتليك بالعسر ليمتحن صبرك ويمحص ما في صدرك ويمنحك من الخير في دينك ودنياك ما لم يخطر لك ببال..

ومتى أحسنت الظن بربك، فتح الله عليك من بركاته ما لم تكن تحتسب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ».(١)

يا صاحبَ الهمّ إنّ الهمَّ مُنْفَرِج ... أبشرْ بخيرٍ فإنّ الفارجَ اللهُ

عروة بن الزبير أصيبتْ رجلُه بأَكَلَةٍ فأجمع الأطباء على أن العلاج الوحيد هو قطعها قبل أن يَسريَ المرض إلى الجسد كله، فقُطِعَت رجْلُه، ودخل أكبر أولاده اصطبله فرفسَتْه دابةٌ فقتلته، فما سُمِعَ منه كلمة فيها اعتراض على الله وإنما قال : «مَا أَحْسَنَ صُنْعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ، أَخَذَ مِنِّي وَاحِدَةً وَتَرَكَ لِي ثَلاثَةً»، وَكَانَ قُطِعَ رِجْلُهُ مِنْ أَكَلَةٍ خَرَجَتْ مِنَ الرُّكْبَةِ قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: وأيْمُنُكَ لَئِنْ كُنْتَ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ، وَلِأَنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ.(٢)

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥)

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في الزهد(١٠١٠٢)،وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات(٨٦١) عن أبي معاوية الضرير عن هشام بن عروة به.

الرابعة الأخذ بالأيسر ما لم يكن إثماً

فمن مقاصد الشريعة الأخذ بالأيسر ما لم يكن إثمًا، حتى لا يمل العبادة فينقطع ويتركها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا ».[1]

قال ابن المنير[2] : في هذا الحديث علمٌ من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناسُ قبْلَنا أنَّ كلَّ متنطِّعٌ في الدِّين يَنقطِعُ، وليس المرادُ منعَ طلبِ الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منعُ الإفراطِ المؤدي إلى المِلال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته.[3]

وقال ابن رجب[4] : ومعنى الحديث : النهي عن التشديد في الدين، بأن يحمل الإنسان نفسه من العبادة ما لا يحتمله إلا بكُلْفة شديدة، وهذا هو المراد بقوله ﷺ « لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » يعني: أن الدين لا يؤخذ بالمغالبة فمن شاد الدين غلبه وقطعه.[5]

الخامسة تسلية المصابين ومشاركة المنكوبين

هذه السورة نزلت على النبي ﷺ وهو في حالٍ من الضيق، وتكالب الأعداء، واجتماع الخصوم، وإعراض الناس، وقلة الناصر، وكثرة الكيد، فكان لابد له من عزاء وتسلية وتطمين وترويح .. فنزلت سورة الشرح بمثابة الوعد الصادق والبشرى الطيبة له ﷺ ولأتباعه إلى يوم القيامة..

وهكذا ينبغي للمسلم أن يشارك إخوانه المنكوبين في مصابهم فيخفف عنهم آلامهم ويزيل أحزانهم بكلِّ ما أمكنه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ».[6]

---

(١) رواه البخاري (٣٩)
(٢) أحمد بن محمد بن منصور الإسكندراني، توفي ٦٨٣ هـ
(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ٩٤)
(٤) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي، توفي ٧٩٥ هـ
(٥) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٤٩)
(٦) رواه مسلم (٢٦٩٩)

السادسة الرضا بقضاء اللَّه وقدره

على قدر إيمان العبد بأقدار الله ورضاه بها على قدر ما ينشرح صدره ويتسع، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]

مَنْ أصابَتْه مصيبةٌ فعَلِمَ أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدَى الله قلبَه، وعوَّضه عما فاته من الدنيا هدىً في قلبه، ويقينًا صادقًا، وقد يَخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرًا منه.(١)

فعَنْ صُهَيْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ».(٢)

السابعة انتظار الفرج

مَنْ علم أن مصابه سيزول هان عليه احتماله، وتسلّى بانتظار زواله، وانبعثت نفسه بالأمل، ونشطت على العمل استعجالاً للفرج.

بعكس ما لو انقطع أمله وأصابته حال من اليأس والقنوط، ظنّ معه أن ما هو فيه من أزمة تعتبر نهاية التاريخ، وخاتمة الحياة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥، ٦]

وقال ﷺ « وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ».(٣)

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ حُصِرَ بِالشَّامِ وَقَدْ تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ مَا يَنْزِلُ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ مَنْزِلَةِ شِدَّةٍ إِلَّا يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ بَعْدَهَا فَرَجًا، وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ.(٤)

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٣٧)

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٩)

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٣٠٨٢) وابن أبي عاصم في السنة(٦١٠٣)، والفريابي في القدر(٦٥١)، والبيهقي في الأسماء والصفات(٦٢١) من طرق عن قيس بن الحجاج عن حنش بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٣٨٩١) وابن المبارك في الجهاد(٧١٢) وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (١٣) من طرق عن زيد بن أسلم عن أبيه به. وحسن إسناده ابن حجر في التغليق (٤/ ٢٧٣)

الثامنة الصبر

أن يقابل العبدُ المصائبَ والابتلاءات بالصبر والرضى والتسليم، ويتذكر الأجر والثواب المترتب على ذلك، وحينها تهون وطأتها، وتخف مؤنتها، وتنقلب مرارتها إلى لذة وحلاوة[1]، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقال ﷺ: « الصَّبْرُ ضِيَاءٌ ».[2]

قال المناوي: أي أنّ الصبر نورٌ قويٌ تنكشف به الكربات، وتنزاحُ به غياهب الظلمات، فمَن صبرَ على مكروه أصابه عِلْمًا بأنه مِن قضاء الله هان عليه.[3]

وقال ﷺ: « مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ ».[4]

سادسًا: حوار مفتوح

① يضيق صدري بسبب كثرة الهموم والمشكلات ولا أرى يسراً ولا فرجاً ؟!

- أيقن أولًا أن ربك أرحم بك من والدك ووالدتك والناس أجمعين
- اعلم أن الذي قدَّر عليك ما تشتكي منه هو أرحم الراحمين.
- احذر عدوك «الشيطان» الذي يريدك أن تسيء الظن بربك، وأن يقعدك عن الطاعات.
- لعلَّ ما تكرهه هو عين الخير لك ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦]
- اعلم أن جزعك وتسخطك لن يغير الواقع بل ربما تتحول المصيبة إلى دينك.
- اقرأ في سير الأنبياء فهم أكثر الناس بلاء وأعظمهم صبرًا على قدر الله.
- اعلم أن الدنيا ليست النهاية، وإنما تنتظرنا جميعًا دار الجزاء «الآخرة».
- تخلَّص من مصدر الهموم والغموم والمشكلات، وهي «المعاصي».

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]

---

(١) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة (ص: ٢١) بنحوه
(٢) رواه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ١٢٣)
(٤) رواه البخاري (١٤٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

- اشغل ذهنك وعقلك بأفكار نافعة قبل أن يقذف فيه الشيطان الأفكار السلبية.
- حافظ على الأذكار والتحصينات الشرعية.
- تفاءل بالخير تجِدْه، وابتسم ولو كان القلب يقطر دمًا.
- واجِه مشكلاتك وكن على قدْر المسئولية.
- لا تنظر إلى ما عند الآخرين: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١]
- غيِّر روتين حياتك، ولا تكلِّف نفسك فوق طاقتها من الأعمال، وعليك بالترفيه المباح من حينٍ لآخر.
- تحكَّم في أفكارك ولا تسترسل مع الأفكار السلبية.
- عليك بالصديق الوَفي الذي يستمع لهمومك ويشاركك أحزانك.
- عليك بدعوات المكروب والمهموم.

② ربما أتهاون في بعض الواجبات أو أتجرأ على بعض المحرمات بحجة أن الدين يسر ؟

- اعرف دينك جيدًا.
- يُسْرُ الدين يُعرف من القرآن والسنة وليس بالهوى .
- التيسير في الدين المراد منه التشجيع على الطاعة وليس التفريط فيها.
- ليس من التيسير التنازل عن الواجبات أو الجرأة على الحرمات.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ.(١)

قال النووي : فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق، ما لم يكن حرامًا أو مكروهًا.(٢)

(١) رواه البخاري (٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٧)
(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٨٣)

الينبوع الخامس
بذل المجهود والإقبال على الرب المعبود

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧
وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾

[الشرح: ٧ – ٨]

قاعدة تحكم لك فراغك ، وتحدِّد وجهتك

الينبوع الخامس
بذل المجهود والإقبال على الرب المعبود

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾
[الشرح: ٧، ٨]

أولًا: التفسير

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ : إذا تفرغت من أشغالك، ولم يَبْقَ في قلبك ما يَعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ : وإلى ربك تضرع راغبًا فيما عنده وحده دون سواه، مخلصًا له في ذلك، ولا تكن ممن إذا فرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين.(١)

ثانيًا: الأسئلة التدبرية واللمسات البيانية

ما المقصود بالفراغ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ؟

- إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل.
- إذا فرغت من صلاتك فانصب في دعائك.
- إذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك.
- إذا فرغت من إبلاغ الرسالة فانصب لجهاد عدّوك.
- إذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد في عبادة الرّبّ.(٢)

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٢٩)
(٢) تفسير البغوي (٨/ ٤٦٦) وتفسير الماوردي (٦/ ٢٩٨) وزاد المسير (٤/ ٤٦٢) وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٣)

لماذا جاء الأمر بالنَّصَب ﴿فَٱنصَبۡ﴾ بعد ذكر النعم (شرح الصدر- وضع الوزر - رفع الذكر) ؟

- لمّا عدَّد اللهُ نعمَهُ الماضية والآتية على نبيِّه ﷺ، أمره بشكر هذه النعم بالاجتهاد في العبادة.
- لأن هذا الاجتهاد في العبادة سبب في بداية النعم ودوامها.

ما وجه الإتيان بالنّصَب في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ ؟

النَّصَب لا يكون إلا مع تعب، وفي هذا كناية عن طول القيام، وقد امتثل النّبيّ ﷺ الأمر على أكمل وجه؛ كما قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها : إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ.(١)

وعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا؟ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: « أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ».(٢)

ما فائدة الاقتران بين الأمرين : النصب ﴿فَٱنصَبۡ﴾ والرغباء إلى الله ﴿فَٱرۡغَب﴾؟

ذكر الله تعالى أمرين :

- أحدهما : عبادة جسديّة وهو «القيام والتعب فيه».
- ثانيهما : عبادة قلبيّة، وهي «الرّغباء» وهذا دليل على اقتران أعمال الجسد بأعمال القلب.

ما هو وجه تقديم الجارّ والمجرور في قوله : ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ ؟

التّقديم هنا للتّخصيص والحصر والاهتمام، والمعنى أن يجعل كلَّ رغبائه إلى الله كاملةً خالصةً له وحده لا لأحدٍ غيرِه.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨٢٠)
(٢) رواه البخاري (٤٨٣٦) ومسلم (٢٨١٩)

لماذا قال: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَبۡ﴾ ولم يقل : (وإلى إلهك فارغب) ؟

لأن لفظ الرّبّ هو المناسب هنا لما يدلّ عليه من السّيادة والتربية والإحسان.

ثالثًا : المعاني الإيمانية

﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح: ٧]

- ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ يا صاحبي ليس في الحياة مساحةٌ للفراغ.
- ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ على قدْرِ إنجازاتك ينشرح صدرك، ومَن انعكس انتكس.
- ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ نحن أولى بك منك، وأحقُّ بفراغك من غيرنا.
- ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ إذا فرغْتَ من أعمالك الدنيوية وأشغالك الشخصية فانصب لنا بالعبادة، وتوجّه لنا بالطاعة، وأكثر من ذكرنا ودعائنا.
- ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ إذا فرغت مِن الأهل والولد والقريب والصاحب فاجعل لك وقتًا معنا، ارفع فيه سؤالك، اعرض فيه حاجتك، أكثر فيه دعاءك، ادعنا وسبّحنا واطلبنا واستغفرنا واشكرنا واذكرنا.
- من سمات الموفقين : أنهم إذا تفرَّغوا من الأعمال ومشاغل الحياة انشغلوا بالعبادة.
- أعظم ما يهوِّن عليك النَّصَب أن تتذكر : ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [الشعراء:٢١٨،٢١٩]
- الدنيا دار عمل لا دار تسويف وكسل ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾.
- دَيْدَنُ المؤمن عبادة دائمة .. من عمل إلى عمل .. ولا يطيق ذلك إلا المؤمن.
- سُئل الإمام أحمد : مَتى يجدُ العبْدُ طعمَ الرَّاحة ؟ فقالَ: عندَ أوَّل قَدَمٍ يَضَعُها فِي الجنَّة.(١)
- فليسَ للعابدِ مستراحٌ إِلَّا تَحتَ شَجَرَةِ طُوبَى ولَا للمُحبِّ قَرارٌ إِلَّا يَوْمَ المزِيد.(٢)

(١) المقصد الأرشد لابن مفلح (٢/ ٣٩٨)
(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٦٨)

- الآية أصل في ترتيب الواجبات بحسب الأوقات والجمع بين العمل للدنيا والعمل للدين.
- الإسلام دين الوسطية: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [القصص:٧٧]
- ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ كلما تحقق التمكين زاد العمل للدين ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١]
- ﴿فَٱنصَبۡ﴾ الفاء للسرعة والمتابعة، فنَفْسُكَ إن لم تشْغَلْها بالطاعة شغلتْكَ بالمعصية.
- ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾ من أمور دنياكَ ﴿فَٱنصَبۡ﴾ لآخرتك.
- حالُ المؤمن: درهمٌ لمعاشي، أو حسنةٌ لمعادي.
- ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾ من حقوق العباد ﴿فَٱنصَبۡ﴾ لحقِّ ربك.
- ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾ من النفع المتعدي (الدعوة) ﴿فَٱنصَبۡ﴾ للنفع القاصر (قيام الليل).
- ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾ فرِّغ قلبك لربك قبل الوقوف بين يديه.

قال ابن كثير: أي إذا فرغتَ من أمور الدنيا وأشغالها وقطعتَ علائقها، فانصب في العبادة، وقُمْ إليها نشيطًا فارغَ البال، وأخْلِص لربِّك النية والرغبة.(١)

ومن هذا القبيل قوله ﷺ: « لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ ».(٢)

وقوله ﷺ: « إِذَا وُضِعَ العَشَاءُ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَابْدَءُوا بِالعَشَاءِ ».(٣)

- كلُّ الأعمال يُفرغُ منها والذِّكْرُ لا فراغ له، والأعمال تنقطع بانقطاع الدنيا والذكر لا ينقطع.
- المؤمن يَعيش على الذكر ويَموت عليه وعليه يُبعث.
- ما طابتِ الدُّنيا إلا بذِكْرِه، ولا الآخرةُ إلا بعفوه، ولا الجنة إلا برؤيته.(٤)
- ﴿فَٱنصَبۡ﴾ نصَبُك لربِّك عونٌ على نجاحك وتحقيق أهدافك ورسالتك في الحياة.

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٣)
(٢) رواه مسلم (٥٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها
(٣) رواه البخاري (٦٧١) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٩١)

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [الشرح: ٨]

- ما يصنع لك الناس وقد فتح ربك لك بابه وأذن لك بالدخول عليه ؟!.
- إلى ربك وحده فارغب، ولا ترغب إلى غيره، وإليه وحده فاتّجِه وعليه توكّل.
- لأنه صاحب الثواب لمن أطاعه والعقاب لمن عصاه، فعنده مفاتح الخزائن وبيده مقاليد الأمور، فهو أهلٌ أن يُدْعَى وأهلٌ أن يُسأل، وأهلٌ أن يؤمل وأن يقصد جلّ في علاه.
- ارْغَبْ إلى رَبِّكَ الذي أوصل إليك إحسانه قبل كل أحد، حين كنتَ جنينًا في بطن أمك. فهل رأيت أعجبَ من فقير لا يسأل الغني الكريم الرحيم ؟!
- المؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشًا، وأنعمهم بالًا، وأشرحهم صدرًا، وأسرِّهم قلبًا، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة.(١)
- أعظم أوقات الرغبة : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المزمل: ٦] فعلى قدْر نصبكَ بين يدي ربك، على قدْر ما يُستجاب لك.
- منهج الأنبياء وطريقهم : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وشعار المؤمنين: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].

رابعًا : القواعد المستنبطة

الأولى النِّعم لا تُعطى إلا لمَنْ بذَلَ الثمن

أول سورة الشرح ذكر النعم (شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر)، وآخرها ذكر أسباب النعم (التعب في العبادة والإقبال على الله).

الرسالة : مَن بذَلَ الثمن حصل على النعم، وهكذا كلّ خيرٍ في الدين والدنيا لا يَحصل إلا لمَن دفع ثمنَه وبذل أسبابَه، قال ابن القيم: أجمعَ عقلاءُ كلِّ أُمةٍ على أنَّ النَّعيمَ لا يُدْرَكُ بالنَّعيم، وأنَّ مَن آثرَ الرَّاحةَ فاتَتْهُ الرَّاحة.(٢)

(١) الداء والدواء لابن القيم(ص: ١٩٧)
(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ١٥)

الثانية على قدر التعب والنَّصَب في أوقات العسر يكون انشراح الصدر، واقتراب اليسر

إذا أردتَ أن ينشرح صدرك ويهون عليك عسرُك ويقترب فرجُك، فاعمل لربِّك حال عسرك ويسرك : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح: ٧]

الثالثة الرغبة لا تكون إلا إلى الله

فلا ترغب إلا إلى ربِّك وحده، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٨]

لأنك إذا علمتَ أنَّ ربَّك فوق الجميع، وأنه يملك جميع الحاجات، وهو القادر على أن يعطيك، ويغنيك، فما الحاجة إلى المخلوقين ؟

فالله هو الذي له الملك في الدنيا والآخرة، ونواصي الخلق بيده، والكون كلّه تحت قدرته وتصرفه، فهو الذي يحقق لك ما ترغبه فتوجَّه إليه، وكن راغبًا إليه وحده دون ما سواه.

فَلِواحدٍ كُنْ واحدًا في واحدٍ ... أعْنِي سبيلَ الحقِّ والإيمانِ[1]

الرابعة ديننا دينُ عمل ونشاط وبذل

لا إجازات، لا قعودَ عن العمل، إنما العمل مستمر إلى نهاية الحياة، قال تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]

فلا فراغ ولا مكانَ للّهْوِ الباطل في حياة المسلم، وإنما هو العمل والإنجاز، إما لدنيا وإما لدين.

ومَن ظنَّ غير ذلك فلم يعرف الوظيفة التي خُلق من أجلها : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]

فالحياة من أولها إلى آخرها مُستَغرَقة في ألوان الطاعات، والقربات، عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]

وليكن منهجك في هذه الحياة : اعمل لدنياك كأنك تعيشُ أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا، والجمع بين الحالين هو الفلاح والنجاح.

(١) نونية ابن القيم (ص: ٢١٩)

الخامسة العمل للدين وظيفة الجميع

إنَّ خير البشر عند الله على الإطلاق وأعلاهم منزلة هو رسول الله ﷺ، ومع ذلك فقد أمره الله أن ينصب ويتعب مع مقامه الرفيع ومنزلته العالية: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧]

فكل مَن دونه أولى بالجد والاجتهاد والبذل والعمل لدين الله؛ الصغير والكبير والشيخ والشاب والرجل والمرأة.

السادسة التعب والنصب غايته مجيء الأجل

فالعبد لا يزال يعمل ويكدح حتى الموت، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] واليقينُ هو الموت بإجماع أهل العلم كلهم.(١)

قال الحسن البصري: أبَى قومٌ المداومةَ، والله، ما المؤمن الذي يعمل شهرًا أو شهرين أو عامًا أو عامين، لا والله ما جعل اللهُ لعمل المؤمن أجلاً دون الموت.(٢)

السابعة الخطاب للنبي ﷺ خطاب لجميع الأمة، ما لم يَرد دليلُ على التخصيص

دليلها من السورة: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]

فلا يقال هذا من خصائصه ﷺ فالأصل أن ما أمرَ اللهُ تعالى به نبيَّه ﷺ ينسحب على عموم الأمة إلا ما اختصَّه اللهُ به.

الثامنة المستقبل المشرق موقوفُ على الجِدّ والعمل

مع ما كان فيه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في أول الإسلام من إرهاق وتهديد، ولكن تأتي بداية سورة الشرح لتشرح الصدور بالتفاؤل وانتظار مستقبل مشرق لهذا الدين واتباعه،

ثمّ تأتي نهاية السورة لتضع منهجًا عمليًا للبذل والجهد والتعب والتوجه بالقلوب والأفئدة إلى الله تعالى، وبهذا تتحقق السعادة والانشراح، ويشرق المستقبل بالأمل والأفراح.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٢٩٦)

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في الزهد(١٥٤٨) قال حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، سمعت الحسن .. فذكره.

التاسعة الوصول إلى الله لابد فيه من نصب وتعب ومشقة

قال تعالى مبينًا هذه القاعدة: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]

فأول الطريق تعبٌ ومجاهدة، وأوسطه عنايةٌ وهداية، وآخره وصولٌ ومعيَّة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

أما مَن يُؤجل العمل لله حتى تأتيه ساعة الصفاء ؟! فلن تأتي .. ولن يصل إلى شيء.

العاشرة من لمح فجر الأجر هانتْ عليه مشقة التكليف [1]

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٨] فعلى قدر رغبة العبد فيما عند الله يهُن عليه ما يبذل في طاعته، ولو كان هذا الذي يبذل هي نفسه التي هي أغلى ما يملك، قال الله تعالى مبينًا السبب الذي يُسَكِّن جراح المؤمنين وآلامهم: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]

وهذه رغبات تهوِّن عليك النصب والتعب:

- الشرب من يدِ النبي ﷺ.
- الفوز بالفردوس الأعلى.
- صحبة النبي ﷺ في الجنة.
- رؤية وجه الملك جل جلاله.
- نوال رضا الله ورضوانه.

(١) المدهش لابن الجوزي (ص: ٢٩٥)

الحادية عشرة إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر أين أقامك

فمقامك حيث أقامك؛ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]

- إذا شغلك بالطاعات فاعلم أنه يريد أن يقربك ويشرفك ويسعدك.
- إذا شغلك بالصلاة فاعلم أنه يحب أن يسمع مناجاتك.
- إذا شغلك بالقرآن فاعلم أنه يريد أن يكلمك.
- وإذا شغلك بالدعاء فاعلم أنه يريد أن يعطيك.
- وإذا شغلك بالدنيا فاعلم أنه أبعدك.
- وإذا شغلك بالناس فاعلم أنه أهانك.

فانظر لحالك وإلى ما أنت مشغول به، فمقامك حيث أقامك

خامسًا: المهارات المكتسبة

الأولى المداومة على الأعمال

قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧] فبمجرد أن تفرغ مِن عمل انتقل إلى غيره، وهكذا.. واصل وداوم ولو على القليل

وقد كان دأب النبي ﷺ مواصلة الأعمال والمداومة عليها، فعَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً.(١)

(١) رواه البخاري (١٩٨٧) ومسلم (٧٨٣)

أي دائمٌ غير منقطع، فما عمل من خير لم يكن يقطعه ويتركه، بل كان يداوِمُ عليه.[١]

وَقالت عائشة رضي الله عنها : كَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ.[٢]

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها إِذَا عَمِلَتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ.[٣]

وقد حضّ النبي ﷺ أمته على القصد والمداومة على العمل، وإن قلّ خشيةَ الانقطاع عن العمل الكثير.[٤]

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « أَحَبّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّه أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ ».[٥]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.[٦]

قال وكيع بن الجراح[٧] : كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفتُ إليه قريبًا من سنتين، فما رأيته يقضي ركعةً.[٨]

قال ابن القيم : لا يزال العبدُ يُعاني الطاعة ويألفُها ويحبُّها ويؤثرها حتى يُرسل اللهُ سبحانه وتعالى برحمته عليه الملائكة تؤزُّه إليها أزًّا، وتحرضه عليها، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها.[٩]

الثانية التقديم بين يدي الدعاء

فقبْل أن ترغب إلى ربك وتسأله حاجتك، أَمَرَكَ أولًا أن تنصب بين يديه بالعبادة، وهذا أدعى لقبول الدعاء وأقرب لإجابته، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٣/ ١٤٨)
(٢) رواه البخاري (٦٤٦٤) ومسلم (٧٨٢)
(٣) رواه مسلم (٧٨٣)
(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٧٩)
(٥) رواه البخاري (٦٤٦٤) ومسلم (٧٨٢)
(٦) رواه البخاري (٦٤٦٢)
(٧) من صغار أتباع التابعين ثقة حافظ أحد الأعلام ، قال أحمد ما رأيت أوعى للعلم منه، توفي سنة ١٩٧ هـ
(٨) صحيح:أخرجه علي بن الجعد في مسنده (٧٥٥)، وأبو نعيم في الحلية(٤٩/٥)، والخطيب في تاريخه(٥/١٠) من طرق عن محمود بن غيلان عن وكيع به.
(٩) الداء والدواء لابن القيم (ص: ٥٦)

الثالثة الجمع بين دعاء العبادة ودعاء المسألة

الدعاء نوعان :

دعـاء العبـادة : والمراد به أن يكون الإنسان عابداً لله تعالى، بأي نوع من أنواع العبادات القلبية أو البدنية، وقد دلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾.

ودعـاء مسـألة : وهو أن يسأل الله تعالى ما ينفعه في الدنيا والآخرة، ودفع ما يضره في الدنيا والآخرة، وقد دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

ونظيره في الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ دعاء عبادة، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ دعاء مسألة.

والجمع بينهما: هو أكمل مراتب العبودية لله تعالى

الرابعة التنويع بين العبادات

من المهارات المكتسبة من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح: ٧] التنويع بين الأعمال، والانتقال من طاعة إلى طاعة، ومِن قربة إلى قربة، وهذا أمرٌ ضروري يجب ألا نغفلَ عنه؛ لأنّ الإنسان إذا داوم على عمل واحدٍ وتكرَّر هذا العمل لفترة طويلة، ربما يتحول الأمر إلى رُوتين، لا رُوحَ فيه ولا حَراك، بل ربما تملُّ النفس فتترك العمل بالكلية، ومِنْ رحمة الله بنا أَنْ نَوَّعَ لنا العبادات لتأخذ النفس بما تستطيع منها، فمنها عبادات بدنية، ومالية وقولية وقلبية، وقد ألمح النبيُّ ﷺ إلى ذلك حين سأل صحابته: « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ».(١)

الخامسة دوام الإقبال على اللَّه وعكوف القلب على محبته ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾

أعظم النعم الإقبال على الله والتعبد له والانقطاع إليه والتبتل إليه.(٢)

(١) رواه مسلم (١٠٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) بدائع الفوائد لابن رجب (٣/ ٩)

مَن لم يَعْكُف قلبُه على الله وَحده عكف على التماثيل المتنوعة، كما قال إمامُ الحنفاء لقوْمِه ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ فاقتسم هُو وقومه حقيقةَ العكوف فكانَ حَظّ قومه العكوف على التماثيل وكانَ حظُّه العكوف على الربِّ الجليل.(١)

السادسة إدارة الوقت واستغلال الفراغ

من أهم المهارات المكتسبة من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]

مهارة اغتنام الأوقات واستغلال الفراغ، لأن الوقت هو مادة الحياة ورأس مال العبد الذي يتاجر من خلاله مع الله تعالى

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ».(٢)

فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة المعيشة الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر أسرع من السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته، وإن عاش فيه عاش عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته.(٣)

السابعة المسارعة إلى الخيرات واغتنام الفرص

التعبير بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧] فيه إشارة إلى الإسراع في استغلال فرصة الفراغ فلربما لو فاتت لا تعود، كما قال النبي ﷺ «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ».(٤)

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٦)
(٢) البخاري (٦٤١٢)
(٣) الداء والدواء لابن القيم(ص: ١٥٧)
(٤) حسن: رواه الحاكم (٧٨٤٦) من طريق عبدان، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل(١١١) من طريق عبدالله بن المبارك كلاهما(عبدان، ابن المبارك)عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وهذه وصية النبي ﷺ لابن عمر قال : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.(١)

يقول خالد بن معدان(٢) : إِذَا فُتِحَ لِأَحَدِكُمْ بَابُ الخَيْرِ فَلْيُسْرِعْ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ.(٣)

يقُول البخاري : كنتُ عند إِسْحَاق ابن راهويه فقالَ لنا: لو جمعْتُم كتابا مختصرا لسنن النَّبِيُّ ﷺ فوقع ذلك في قلبي، فأخذتُ في جمع هَذَا الكتاب، يَعْنِي : «كتاب الجامع».(٤)

فكان صحيح البخاري أَجَلَّ كتاب بعد كتاب الله.

قال ابن الجوزي(٥): الدنيا دارُ سباق إلى أعالي المعالي؛ فينبغي لذي الهِمّة ألا يُقصرّ، فإن سَبَقَ فهو المقصود، وإنْ كَبَا جوادُه مع اجتهادِه، لم يُلَم.(٦)

اغتنمْ في الفراغِ فضْلَ ركوعٍ ... فعسَى أنْ يكونَ موتُكَ بغْتَةْ
كمْ صحيحٍ رأيْتَ مِنْ غير سَقَمٍ ... ذهَبَتْ نفسُه الصّحيحةُ فَلْتَةْ(٧)

الثامنة ترتيب الواجبات على حسب الأوقات

قال تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]

في ذلك إشارة إلى ترتيب الواجبات بحسب الأوقات، وكيف يجمع المسلم بين أعمال الدنيا وأعمال الآخرة؛ فقد يكون مشغولًا طوال النهار بالمعاش والسعي لكسب الرزق، ولا شك أن هذا العمل وإن عُدَّ من أعمال الدنيا إلا أن فيه تقربًا لله تعالى لأن الشرعَ قد حثَّ على العمل والتكسب؛ ولكن لابد أن يجعل لنفسه حظًّا من الطاعات التي هي زاده في الآخرة ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]

(١) البخاري(٦٤١٦)
(٢) من التابعين ثقة عابد من فقهاء أهل الشام توفي سنة ١٠٣هـ
(٣) صحيح: أخرجه أحمد في الزهد(٢٢٦٥) قال حدثنا أبو المغيرة، حدثنا جرير، عن خالد بن معدان به.
(٤) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٤/ ٤٤٢)
(٥) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)
(٦) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص: ٤٧٠)
(٧) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ١٤٦)

التاسعة إتمام الأعمال والانتهاء منها

ففي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ إشارة إلى أهمية إتمام الأعمال وإنهائها قبل الشروع في غيرها، وهذه القاعدة مهمة جدًا، لأن العبرة ليست بكثرة الأعمال التي يبدأ بها العبد، وإنما العبرة بما أتمَّهُ وأنجزه من أعمال.

سادسًا: حوار مفتوح

١ أعاني من التسويف وتأجيل الأعمال وتأخيرها

- اعلم أن التسويف أخطر شباك الشيطان التي ينصبها لك حتى يضيع عليك عمرك.
- تأمل نداء الله للمؤمنين في القرآن ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ ﴿فَٱسْتَبِقُواْ﴾ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾.
- تأمل نداء النبي ﷺ «اغْتَنِمْ» «بَادِرُوا».
- احذر التسويف؛ فإنه رأس الأماني، وداء العمل، وقاتل الهمم، وحجة المفلسين.
- هل تضمن أن تعيش إلى الغد؟

فلا تُبْقِ فعلَ الصالحاتِ إلى غدٍ ... لعلَّ غداً يأتي وأنتَ فقيدُ

٢ أشدد على نفسي فأشعر بالملل ولا أداوم على الطاعات

- احذر التعمق فهو باب خطير من أبواب الشيطان لينفرك من الطاعة ويوقعك في المخالفة.

فما أمَرَ اللهُ سبحانه بأَمْرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إمَّا إلى تفريط وتقصير، وإمَّا إلى مجاوزة وغلوّ؛ ولا يُبالي بأيِّهما ظَفَرَ.(١)

- ارفق بنفسك ولا تكلفها فوق طاقتها.
- استعمل مع نفسك أسلوب التدرج حتى تتعود الطاعة.
- اعلم أن تكليف النفس فوق طاقتها ليس من السنة.

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ١١٦)

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ، فَقَالَ: « مَنْ هَذِهِ ؟ » فَقُلْتُ: امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ اللَّيْلَ، قَالَ: « عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا ».(١)

عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: « مَا هَذَا ؟ » قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي، فَإِذَا كَسِلَتْ، أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ، فَقَالَ: « حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِلَ، أَوْ فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ ».(٢)

قال النووي : فيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصًا بالصلاة بل هو عامٌّ في جميع أعمال البر ... وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط والقلب منشرحًا، فتتِمُّ العبادة.(٣)

٣ مشغول بالوظيفة ولا أجد أوقاتاً للعبادة

- اعلم أن الذي رزقك الوظيفة هو الله، فهل هذا جزاء الإحسان ؟
- تذكر أن الغاية العظمى التي خلقتَ لها ليست (الوظيفة) وإنما (عبادة الله).
- وازن بين حقوق الله والعمل للدنيا: « إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ».(٤)
- تأكَّد أن طاعة الله لن تنقص من رزقك، بل هي سبب للبركة في الرزق والعُمُر.
- اعلم أن ما تقضيه اليوم في طاعة الله هو زادك غدًا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.
- استفد من الأوقات الضائعة، كوقت انتظار وسائل المواصلات أو موعد طبيب.

---

(١) رواه مسلم (٧٨٥)
(٢) رواه البخاري (١١٥٠) ومسلم (٧٨٤)
(٣) شرح النووي على مسلم (٦/ ٧١)
(٤) رواه البخاري (١٩٦٨) من حديث أبي جحيفة ﵁.

◆ احمل معك كُتيِّبًا صغيرًا أو مصحف جيب، لتستغل أوقات ركوبك المواصلات أو أوقات الانتظار.

◆ استفد من التقنية الحديثة : كالحاسوب وبعض أنواع الهواتف ووسائل التواصل ونحوها من الوسائل التي تختصر لك شيئًا من الوقت.

◆ احرص على تنظيم كل شيء من حولك، رتِّبْ أغراضك : ونظِّم مكتبَك وغرفتَك وسيارتك، وكلّ ما يتعلق بك، فإنَّ ذلك سيوفر لك كثيرًا من الوقت.

◆ اعرف لصوص الوقت واحذرهم

- الزيارات المفاجئة.
- إدمان القنوات الفضائية.
- إدمان وسائل التواصل لغير فائدة (واتساب – فيسبوك –تلجرام....وغيرها).
- الأهداف غير الواضحة.
- عدم تحديد الأولويات.
- عدم التخطيط للوقت.
- الإكثار من قراءة الصحف الغير مفيدة.
- تتبع الأخبار والتحليلات في كل قناة.
- إكثار الكلام بلا فائدة.
- كثرة استعمال الهاتف بلا فائدة.
- كثرة المناقشات غير المفيدة.

٤ أشعر بالتشتت، ولا أداوم على عمل، ولم أُكمل عملًا في حياتي

◆ تذكَّرْ أن قيمة الشخص بما ينجزه.

◆ خطط لوقتك : خصّص خمس دقائق عند بداية كل يوم للتخطيط.

◆ رتِّبْ أهدافك .. أهداف حياتك عمومًا، ثم أهدافك المرحلية، ثم أهدافك القريبة جدًا واجعلها لا تغيب عنك أبدًا .. ستشعر بالفارق الكبير.

◆ اسأل نفسَك عند كل عمل تقوم به، هل هذا العمل يقربني من أهدافي أو يباعدني عنها ؟

◆ ضع مفكِّرة صغيرة وقلَمًا في جيبك دائمًا، لتُدَوِّن الأفكار والملاحظات، ورَتِّب الأولويات حسب أهميتها وابدأ بالأهم.

◆ استخدم «دفترك أو هاتفك» لعمل جداول للتخطيط اليومي والأسبوعي والشهري.

- لا تحاول أن تجمعَ بين أكثر من عمل في وقت واحد.
- حاول تجزئة المهام الكبيرة إلى مهام صغيرة حتى يمكن تأديتها في وقت وجيز.
- ابدأ بالمهام السهلة والبسيطة وأنجزها، فإن لذلك أثرًا في تشجيعك على الإنجاز.
- كافئ نفسك عند الإنجاز، حتى ولو كان في نظَرِك إنجازًا بسيطًا.
- ساعة وساعة : اجعل جزءًا من وقتك للترويح عن نفسك لأن القلب إذا كلّ عمي، وينبغي أن يكون الترويح مباحًا ومفيدًا.

⑤ أعاني من تضييع أوقات الفراغ

- اعرف قيمة الوقت، فهو رأس مالك الذي تتاجر به مع الله.
- اعلم أنك خُلقت لغاية عظيمة ووظيفة شريفة وهي العبادة.
- استحضر مراقبة الله لك وإحصاءه لأعمالك دقيقها وجليلها؛ فإذا استحضرت ذلك لم ترْضَ أن تُضيِّع دقيقة في غير طاعة الله.
- لا تستسلم لهوى نفسك وألزمها باستغلال الوقت.
- حاسب نفسك واسألها :
  - ماذا عمِلَتْ في يومها الذي انقضى ؟
  - وفي أي شيء أمضتْ ساعاتِ يومها ؟
  - وأين أنفقت وقتها ؟
- بادر نفسك؛ فإن لم تملأ الفراغ بالخير ملأته نفسك وشيطانك بالشر.
- نوِّع في الأعمال، فإنّ تنويع الأعمال يساعد النفس على استغلال أكبر قدر ممكن من الوقت.
- عليك بالصحبة الصالحة التي تعينك على استغلال الوقت.
- تأمل واقرأ حال السلف مع الوقت، فإن معرفة أحوالهم وقراءة سيرهم أكبر عون للمسلم على حسن استغلال وقته.

◆ تَعَلَّم أن تقول: (لا) ، (أنا آسف) لمَن يُضيِّع وقتَك.

◆ التحق بحلقة من حلقات تحفيظ القرآن، فهو خير ما تنفق فيه الأوقات.

◆ تذكَّر ساعة الاحتضار، حين يقول المفرط : ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فيقال له حينئذٍ: ﴿كَلَّآ﴾ انتهى الوقت.

◆ تذكُّر السؤال عن الوقت يوم القيامة :

فيُسأل العبد :

- عن وقته وعمره، كيف قضاه ؟
- وفيمَ استغلَّه ؟
- وأين أنفقه ؟
- وبأي شيء ملأه ؟

◆ عليك بالدعاء بأن يوفقك الله إلى اغتنام الأوقات، وأن يعينك على ذكره وشكره وحُسن عبادته.

مقدمة ٣

تمهيد ٤

بين يدي السورة ٦

الينبوع الأول : شرح الصدر ١٤

الينبوع الثاني : وضع الوزر ٢٨

الينبوع الثالث : رفع الذِّكْر ٣٨

الينبوع الرابع : يسرٌ غالبٌ للعسر ٥٠

الينبوع الخامس : بذل المجهود والإقبال على الرب المعبود ٦٢

الفهرس ٨٠